الإسلام وطن

أسسها

العارف بالله

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

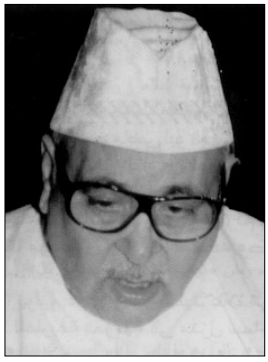

تصدرها

مشيخة الطريقة العزمية
بجمهورية مصر غرة كل شهر عربي
ترخيص المجلس الأعلى للصحافة
١٩٨٧/٢/٨م

رئيس مجلس الإدارة

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

نائب رئيس مجلس الإدارة

نائب عام الطريقة العزمية

السيد أحمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

مدير التحرير والمشرف العام

الدكتور عبد الحليم العزمي

رئيس التحرير

محمد الشنديلي

مستشار التحرير

الأستاذ سميح محمود قنديل

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

* **الافتتاحية: لماذا تأخرت الأمة؟! وقفة للنقد الذاتي (٢) ..**
بقلم شيخ الطريقة العزمية السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ٤
* **معارج المقربين (٢٠) ..** الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم ٨
* **الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٧) ..**
بقلم نائب عام الطريقة العزمية السيد أحمد علاء الدين ماضي أبي العزائم ١٢
* **عبقرية الإمام عليّ (٣٦) ..** المفكر الإسلامي الكبير المرحوم عباس محمود العقاد ١٤
* **النموذج السادس من أدعية الإمام المجدد أبي العزائم في ليلة النصف من شعبان ..** ١٦
* **فقه مالك والمالكية (١٥) ..** د. محمد الإدريسي الحسني ١٨
* **نصرة النبي المختار في أهل بيته الأطهار (٨٧) ..** المستشار رجب عبد السميع وأ. عادل سعد ٢٠
* **النَّص المُتشظِّي .. المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة (٩) ..**
أ.د. بليغ حمدي إسماعيل ٢٢
* **وصية إلى الرجل المسلم (٥) ..** د. جمال أمين ٢٤
* **الإسلام وطن وجولة مع أخبار الوطن الإسلامي..** الأستاذ هشام سعد الجوهري ٢٦
* **قول أنفذ من صول ..** د. عزيز محمود الجندي ٢٩
* **إحياء ليلة النصف من شعبان من نوافل البر..** الإمام محمد ماضي أبو العزائم ٣٠
* **براعم الإيمان من فيض الحنان (٤٥) ..** المحاسب مصطفى فهيم ٣٢
* **جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية (٦) ..** أ. د. نور الدين أبو لحية ٣٤
* **تحويل القبلة في نصف شعبان.. بين التسليم للفرد ﷺ وحديث السفهاء!! ..**
الدكتور عبد الحليم العزمي ٣٦
* **اللغة العربية في عصر التحول الرقمي [٢/١] ..** أ. صلاح البيلي ٤٠
* **عبقرية العرب في تأليف المعاجم المتخصصة [٣/٢] ..** أ. محمد إسحاق عبد الرسول ٤٢
* **رأي الإمام أبي العزائم في مسائل العقيدة (٣١) ..** د. سامي عوض العسالة ٤٤
* **أخطر جماعة ظهرت على وجه الأرض (١١) ..** محمد الشنديلي ٤٦
* **من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية خلال شهر رجب ١٤٤٧هـ** ٤٧
* **آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة (٨) ..** أ. د. فاروق الدسوقي ٤٨
* **أباطيل الإسلام السياسي (الأسس الفكرية للإرهاب) [٨٢] ..** د. محمد حسيني الحلفاوي ٥٠
* **شرح جوامع الكلم للإمام أبي العزائم ﷺ (الحكمة ١٧٩) ..** أ.سميح قنديل ٥٢
* **عبرة لمعتبر (٦) ..** الشيخ قنديل عبد الهادي ٥٤
* **طه حسين حين كشف الغطاء عن (الفتنة الإخوانية) المبكرة عام ١٩٥٤م!! ..**
د. رفعت سيد أحمد ٥٦
* **المجتمع العزمي** ٥٨

غـايتـنا

إعادة المجد الذي فقده المسلمون الذي لن يتحقق إلا بعودة الخلافة الإسلامية.
هذه هى الضالة التى ننشدها والمجد الذي فقده المسلمون ونسعى لتجديده.

دعوتنا

أولاً: الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

ثانياً: الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ.

ثالثاً: الإسلام وطن والمسلمون جميعًا أهله.

شعارنا

الله معبودنا والجهاد خلقنا
والرسول مقصودنا والخلافة غايتنا
والقرآن حجتنا وأبو العزائم إمامنا

الاشتراكات

داخل مصر ١٨٥ جنيه سنويًّا خالصة رسوم البريد.
باقي دول العالم ٧٥ دولارًا سنويًّا خالصة رسوم البريد.

لماذا تأخرت الأمة؟!

وقفة للنقد الذاتي (٢)

الافتتاحية

إن بناء الأمم عملية معقدة ومركبة، فهي ليست وليدة الصدفة، ولا تتم دون تغيير جذري في أفكار ومعتقدات الشعوب.

في مقالاتي عن (الضياع والأمل المرتقب) حددت المرض الخطير الذي ضرب الأمة، وشرعت في عرض كيفية علاج الأمة منه، وفي هذه المقالات أتحدث عن أمور يجدها الناس بسيطة لكنها مؤثرة في تراجعنا، كما لو أننا نقوم بعملية نقد ذاتي لأنفسنا.

وبعد أن استعرضنا في المقال السابق كيف أن غياب الطموح كان الرصاصة الأولى في صدر نهضتنا، وكيف أن قتل الإبداع أورثنا جمودًا فكريًّا جعلنا نعيش في جلباب الماضي دون فهم للحاضر، نأتي الآن لنكمل تشريح "جسد الأمة الضائع"، لنضع أيدينا على الجروح الغائرة التي منعتنا من النهوض وجعلتنا متأخرين.

ثالثًا: رضينا بالقليل، فخسرنا الكثير

ليس الرضا بالقليل في ذاته عيبًا أخلاقيًّا، ولا خطيئة دينية، ولا نقصًا في الإيمان، كما يحاول البعض أن يصوّر أي نقد له. إنما العيب - كل العيب - في تحويل الرضا بالقليل إلى بديل عن الطموح، وإلى ذريعة لتبرير العجز، وإلى فلسفة حياة تُغلَق بها أبواب السؤال والتغيير.

لقد اختلطت المفاهيم في الوعي الجمعي للأمة، فتم الخلط بين الزهد والكسل، وبين القناعة والاستسلام، وبين التقوى والرضوخ .

ومع مرور الزمن، لم يعد الرضا بالقليل حالة نفسية فردية، بل أصبح ثقافة عامة، بل وأحيانًا سياسة غير معلنة لإدارة التخلف بدل مواجهته.

١ـ الرضا تحوّل إلى أيديولوجيا

حين ترضى أمة بالقليل، فإنها لا تكتفي بقبول واقعها، بل تبدأ في إعادة إنتاج هذا الواقع، والدفاع عنه، وشيطنة كل من يحاول تغييره، فالطموح يصبح تهورًا، والمغامرة تصبح فسادًا، والنجاح يصبح شبهة.

وهكذا نشأت عقلية تقول للإنسان: (اقبل بما أنت فيه، فغيرك أسوأ حالًا).

لكن هذه المقولة - على بساطتها – قاتلة؛ لأنها تُخرج الإنسان من معادلة التاريخ، فالتاريخ لا يكافئ من يقارن نفسه بمن هو أدنى، بل من يقارن نفسه بما يجب أن يكون عليه.

٢ـ التعليم: رضينا بالورق بدل العقل

من أكثر المجالات التي تجلّت فيها ثقافة الرضا بالقليل هو التعليم، فقد تحوّل التعليم- في وعي الناس- من مشروع لبناء الإنسان، إلى مجرد وسيلة للحصول على شهادة، أو «رخصة اجتماعية» تسمح لحاملها بالعبور الوظيفي.

لم نعد نسأل:

- ماذا تعلّم الطالب؟
- كيف يفكّر؟
- هل يملك أدوات النقد والتحليل؟

بل أصبح السؤال:

- هل يحمل شهادة؟
- من أي جامعة؟
- حكومية أم خاصة؟

وفي الجامعات الخاصة على وجه الخصوص، تجسّدت هذه الأزمة بوضوح، فبدل أن تكون مؤسسات لإنتاج المعرفة، تحوّلت في كثير من الأحيان إلى مصانع شهادات، يُدفع فيها المال مقابل ورق، لا مقابل علم.

وهكذا رضينا بتعليم لا يصنع علماء، ولا مهندسين مبدعين، ولا أطباء باحثين، بل خرّيجين يحفظون ولا يفهمون، وينقلون ولا يبتكرون.

٣ـ قتلنا العلم الطبيعي

حين قال رسول الله ﷺ: (اطلبوا العلم ولو في الصين)، لم تكن الصين مسلمة، وحتى الآن لم تسلم كدولة، فالصين لم تكن مركز فقه، بل مركز صناعة وحِرف وتقنيات، فكأنه ﷺ أراد منا أن نتعلم العلوم والتكنولوجيا من الصين ولا ندير وجهنا لها.

لكننا- عبر الزمن- انصرفنا عن العلم الطبيعي، والعلم التطبيقي، والعلم المنتج، وانشغلنا بعلوم لا تُترجم إلى واقع، ولا تُبنى عليها حضارة. ثم رضينا بذلك.

والأخطر من ذلك، أننا صرنا نحتقر هذه العلوم، وننظر إلى من يعمل بها نظرة دونية، وكأن الصناعة نقص، والحرفة عيب، والعمل اليدوي عار.

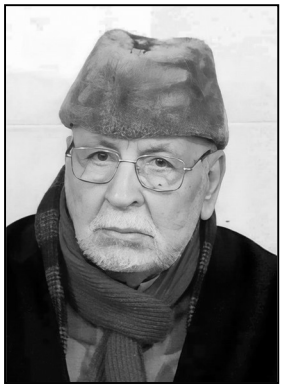

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

شيخ الطريقة العزمية

عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية

رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية

٤ـ الرضا بالفقر وإعادة إنتاجه

حين يرضى الإنسان بالفقر، لا يسعى للخروج منه، بل يبدأ في التكيّف معه، بل وفي توريثه لأبنائه. وهنا يتحوّل الفقر من حالة اقتصادية إلى ثقافة.

فالذي لا يملك طموحًا؛ لا يخطط، والذي لا يخطط؛ يُنجب بلا حساب؛ لأن الإنجاب يصبح تعويضًا نفسيًّا عن الفشل، وهكذا نشأت علاقة خطيرة بين الرضا بالقليل والانفجار السكاني.

من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٥٢م، كان عدد السكان في مصر يتزايد بوتيرة يمكن السيطرة عليها، ولو استمر هذا المسار مع تعليم حقيقي وتنمية فعلية، لكانت هناك فرصة تاريخية للنهوض، لكن الذي حدث هو العكس.

الحرية هي الأصل، وما عداها فروع، فلا طموح بلا حرية، ولا مغامرة بلا حرية، ولا إبداع بلا حرية، وحين غابت الحرية، كان طبيعيًّا أن نرضى بالقليل، وأن نخاف المغامرة، وأن نكره المبادرة.

٥ـ تحوّل الرضا بالقليل إلى سياسة

بعد ١٩٥٢م، لم يكن التحول مجرد تغيير نظام حكم، بل تغيير فلسفة مجتمع، فتم التعامل مع الإنسان بوصفه رقمًا، لا مشروعًا، وأُلغيت عمليًّا إلزامية التعليم في الريف، فعاد الفلاح إلى إنجاب مزيد من الأبناء ليعملوا في الأرض بدل أن يتعلموا.

واستخدمت وسائل تنظيم الأسرة في المدن، وبين الموظفين، لا بين العمال والفلاحين. وكأن الرسالة غير المعلنة تقول: (اقبل وضعك... هذا نصيبك).

وهكذا تزاوج الرضا بالقليل مع سياسات قصيرة النظر، فاستقرّ التخلف.

هل ناقضتُ الإمام عليًّا؟

ربما يخرج شخص بعد قراءة السطور الماضية، ويقول: إن علاء أبا العزائم ناقض ما قاله جده الإمام المجدد علي بن أبي طالب عليه السلام، حين قال: (التقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)، ويدعي أنني اعتبرت الرضا بالقليل - وهو من علامات التقوى - شيئًا مشينًا.

لكن المقولة مفسرة لنفسها، فلا يصلح الرضا بالقليل، إلا كان بداخلك خوف من الجليل، ثم عملت بالتنزيل، واستعددت ليوم الرحيل، فوقتها يجب عليك أن ترضى بالقليل تقوى.

أما أن ترضى بحالك السيء، وأنت لا تخاف الجليل ولا تعمل بالتنزيل ولا تستعد ليوم الرحيل، فأنت تعبث وتفسد الأمر على نفسك وعلى أمتك، فالمعادلة رباعية متكاملة، إما أن تفعلها كلها فيكون رضاؤك بالقليل سلوكًا حسنًا، أو تقصر في باقي الجوانب، فيكون رضاؤك بالقليل وبالًا عليك.

رابعًا: غابت روح المغامرة؛ فتلاشت المبادرة

إذا كان الرضا بالقليل قد قتل الحلم، فإن غياب روح المغامرة قد قتل الفعل.

فالأمم لا تتقدم بالأمن وحده، ولا بالاستقرار فقط، بل بقدر محسوب من المخاطرة.

لكن مجتمعاتنا - بفعل القمع، والخوف، وتجارب الفشل - أصبحت تكره المغامرة، وتفضّل السلامة حتى لو كانت سلامة في قاع التخلف.

١ـ الخوف من الخطأ:

نحن لا نغامر؛ لأننا لا نتسامح مع الخطأ، فالخطأ عندنا جريمة، لا مرحلة تعلم، والفشل فضيحة، لا تجربة.

ولهذا، يختار الناس الطريق الآمن، حتى لو كان مسدودًا.

والمفارقة أننا حين نجد الطريق مغلقًا، نُصرّ على فتحه بالقوة، بدل أن نبحث عن طريق آخر، فنظل ندور في نفس الحلقة، ننتظر نتائج مختلفة، ثم نشكو من العجز ويصيبنا اليأس.

٢ـ شيطنة المغامرة

في الوعي الشعبي، أصبح كل من يحاول أن يخرج عن المألوف موضع شك. فالمغامر «أكيد فاسد»، والمبادر «لا بد أنه يتحايل»، وصاحب المشروع «لا بد أنه يفعل شيئًا غلطًا».

وهكذا قُتلت المبادرة قبل أن تولد، لا بالقوانين فقط، بل بالعقل الجمعي.

٣ـ قتل المهن وانهيار الصناعة

من أخطر نتائج غياب روح المغامرة أننا قتلنا المهن، فاحتقرنا الصناعة، وفضّلنا الاستيراد، واعتبرنا العمل الحرفي درجة أدنى.

في حين أن الشعوب التي تقدّمت - كالأوروبيين - لم تفعل ذلك؛ إلا لأنها غامرت بالصناعة، فلم ينتظروا موارد جاهزة، بل صنعوا مواردهم.

أما نحن، فقد استهلكنا عضلاتنا بدل عقولنا، وأهملنا صحة الفلاح، وتركناه يذبل بالبلهارسيا، ثم تساءلنا: لماذا لم يتطور؟.

٤ـ مكافأة الفساد ومعاقبة الاجتهاد

لا يمكن لروح المغامرة أن تعيش في بيئة تُكافئ الولاء لا الكفاءة، وتُعاقب الاستقلال لا الفساد، فحين تم فصل أساتذة الجامعات في العصر الناصري، وفرغت الجامعات من عقولها، كان هذا بمثابة رسالة واضحة: (لا تفكّر خارج الإطار).

فهاجر العلماء، ومن عاد لاحقته الإقصاءات، وفي مناخ كهذا، لا يولد مغامر، ولا ينجح مبتكر.

٥ـ لا طموح لا مغامرة

الطموح هو وقود المغامرة. وحين غاب الطموح، ماتت الجرأة، فأصبح أقصى ما نحلم به هو الأمان، لا التقدم، والاستقرار، لا التطور.

وهكذا دخلنا دائرة مغلقة: نرضى بالقليل، فنفقد الطموح، فنكره المغامرة، فنتخلف، ثم نُبرر التخلف.

خامسًا: ندرت الحرية؛ فمات الإنسان قبل أن تموت الأمة

إذا كان الرضا بالقليل قد قتل الطموح، وإذا كان غياب روح المغامرة قد قتل المبادرة، فإن غياب الحرية كان هو الضربة القاضية التي أجهزت على الإنسان نفسه.

فالحرية ليست ترفًا سياسيًّا، ولا مطلبًا نخبويًّا، ولا شعارًا مستوردًا، بل هي الشرط الأول لوجود إنسان كامل الأهلية: يفكر، ويختار، ويخطئ، ويتعلم، ويتقدم.

إن أخطر ما أصاب الأمة في العصر الحديث ليس الفقر، ولا الجهل، ولا الهزائم العسكرية، بل تطبيع غياب الحرية؛ حتى صار القمع مألوفًا، والصمت حكمة، والخوف عقلانية.

١ـ الحرية ليست سياسة فقط بل بنية عقل

الحرية لا تبدأ من صندوق اقتراع، بل من داخل العقل، فالعقل الحر يسأل، ويشك، ويجرب، ويعارض، ويعيد النظر.

أما العقل المقموع، فيتعلّم كيف يتجنب السؤال، وكيف يختار السلامة، وكيف يبرر الواقع بدل تغييره.

وحين غابت الحرية عن المجال العام، انسحبت تدريجيًّا من المجال الخاص، فلم يعد الإنسان حرًّا في اختياراته التعليمية، ولا المهنية، ولا حتى في أحلامه، وصار يفكر ألف مرة قبل أن يقول رأيًا، ومليون مرة قبل أن يخوض تجربة.

وهكذا لم نعد نصنع مواطنين، بل أفرادًا مروّضين، ومسؤولية ذلك لا تقع على الحكومات فحسب، بل على كل فرد في الأمة، فكم واحدًا منكم ترك لأولاده حرية التفكير والتجربة؟ من منكم سمح لابنه أن يفكك لعبته الصغيرة ويعيد تجميعها؛ حتى يبني في داخله روح الابتكار؟ ومن منكم لم يعنف ابنه حينما فكّر في قيادة سيارته مبكرًا؟ لقد زرعتم الخوف والرهبة في نفوس الأطفال، فكبروا وهم بداخلهم رقابة ذاتية، أقسى من الرقابة الخارجية.

٢ـ الخوف بوصفه أداة حكم

لم يُحكم هذا المجتمع بالقوانين وحدها، بل بالخوف، والخوف - حين يستقر طويلًا - لا يحتاج إلى عصا دائمة؛ لأن الإنسان يتكفل برقابة نفسه بنفسه.

فصار الفرد يسأل نفسه قبل كل خطوة:

هل هذا آمن؟ هل سيجرّ عليّ مشكلة؟ هل يستحق المجازفة؟

ومع الوقت، لا يكون السؤال:

هل هذا صحيح؟، بل: هل هذا مسموح؟

وهنا تموت الحرية؛ لأن الحرية لا تعيش في عقل يسأل عن الإذن قبل الحقيقة.

٣ـ من قتل الحرية قتل الإبداع

لا يمكن أن يولد الإبداع في بيئة تخاف من الاختلاف، فالمبدع بطبيعته مقلق، والمفكر بطبيعته مزعج، والمبتكر بطبيعته يخرق المألوف، وكل هذا لا تحتمله الأنظمة التي تفضل السكون على الحركة.

ولهذا لم يكن غريبًا أن يتم قمع الجامعات، وتدجينها، وتحويلها من فضاء للنقاش الحر إلى قاعات تلقين، ولم يكن غريبًا أن تُفرّغ المؤسسات الثقافية من مضمونها، وأن يُكافأ التكرار ويُعاقَب التجديد.

وحين يُقتل الإبداع، لا يموت الفن وحده، بل يموت الاقتصاد، والعلم، والسياسة، وكل ما يصنع التقدم.

٤ـ الحرية والتعليم.. علاقة قُطعت عمدًا

لا يوجد تعليم حقيقي بلا حرية، فالتعليم ليس حفظًا، بل تمرينًا على التفكير.

لكن حين انتشر الخوف من التفكير، تم إفراغ التعليم من جوهره، وتحويله إلى عملية تلقين ميكانيكية.

فالطالب لا يُدرّب على السؤال، بل على الإجابة النموذجية، ولا يُكافأ على الفهم، بل على الحفظ، ولا يُشجَّع على النقد، بل يُعاقَب عليه.

وهكذا نشأ جيل يحمل شهادات، لكنه لا يملك أدوات عقلية، جيل يعرف «ما يجب أن يُقال»، لكنه لا يعرف «ما يجب أن يُفكَّر فيه».

٥ـ الحرية والإنتاج: لماذا لم نصنع؟

غياب الحرية لا يقتل السياسة فقط، بل يقتل الصناعة؛ لأن الصناعة تحتاج إلى قرار مستقل، وتجربة جريئة، وقدرة على الفشل دون خوف.

ولهذا اتجه الناس إلى الوظيفة، لا إلى المشروع، وإلى الأمان، لا إلى الإنتاج، وإلى الراتب الثابت، لا إلى المخاطرة المحسوبة، فالبيئة التي تخنق الحرية لا تنتج رواد أعمال، بل تنتج موظفين خائفين.

ومن هنا نفهم لماذا اتجهت أمم أخرى إلى الصناعة، بينما بقينا نستهلك. لم يكن الفرق في الموارد، بل في مساحة الحرية المتاحة للعقل ليجرب.

٦ـ من تحرير إلى تأميم الإنسان

بعد ١٩٥٢م، لم يتم تأميم الاقتصاد فقط، بل تأميم الإنسان، فصارت الدولة هي الفاعل الوحيد، وصار الفرد تابعًا لا شريكًا، ومع هذا التحول، ضُربت فكرة الاستقلال الفردي في الصميم.

اعتُبر الاعتراض تمردًا، والمطالبة بالحقوق تهديدًا، والتفكير الحر خطرًا، حتى أساتذة الجامعات لم يسلموا من الإقصاء، كما حدث في كليات الحقوق وغيرها، حين فُصل من فُصل، وسافر من سافر، وهاجرت العقول بدل أن تُحتضن.

وحين هاجر العقل، بقي الجسد، وحين بقي الجسد بلا عقل، توقفت الأمة عن التقدم.

٧ـ الهجرة بوصفها شهادة إدانة

لم يهاجر العلماء؛ لأنهم كارهون لأوطانهم، بل لأن أوطانهم لم تتسع لعقولهم، فالعقل الحر يبحث عن بيئة تسمح له بأن يعمل، لا بأن يصمت.

ولهذا رأينا كيف تم تكريم بعض العقول في الخارج، بينما حوربت في الداخل، وكيف عاد البعض فدُفع الثمن، ثم انتهى الأمر بتصفية الكفاءات معنويًّا أو فعليًّا.

والنتيجة: فراغ معرفي، وانقطاع في التراكم العلمي، وانهيار بطيء لمنظومة الإنتاج الفكري.

٨ـ بلا حرية: لا طموح ولا مغامرة

الحرية هي الأصل، وما عداها فروع، فلا طموح بلا حرية، ولا مغامرة بلا حرية، ولا إبداع بلا حرية، وحين غابت الحرية، كان طبيعيًّا أن نرضى بالقليل، وأن نخاف المغامرة، وأن نكره المبادرة.

٩ـ الحرية ليست فوضى

الحرية لا تعني الفوضى، ولا الانفلات، ولا غياب القيم. بل تعني مسؤولية الاختيار، والمجتمعات الحرة ليست أقل انضباطًا، بل أكثر وعيًا.

لكن حين صُوّرت الحرية على أنها خطر، تم خنقها باسم الاستقرار، ومع الوقت، لم يبقَ لا حرية، ولا استقرار حقيقي.

لقد انتهينا من الحديث عن (غياب الطموح) و(قتل الإبداع)، و(ثقافة الرضا بالقليل)، و(اختفاء روح المغامرة)، و(ندرة الحرية)، وإلى اللقاءات المقبلة لنتحدث عن (محاربة القدوة)، و(تراجع الأخلاق)، و(كراهية لقاء الله)، و(انتشار الفساد) لنضع أيدينا على العوامل المؤثرة في تراجع الأمة، فقد يفيد النقد الذاتي في تحريك الماء الراكد في نفوس البعض، فيخرج منهم من يحمل لواء نهضتها وتقدمها.

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وسلم.

معارج المقربين

(٢٠)

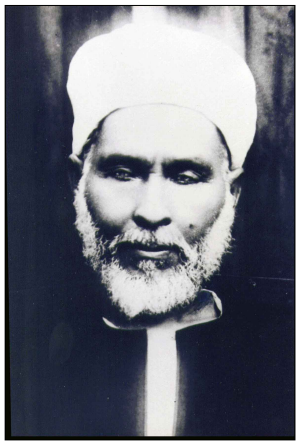

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

الركن الثالث: الزكاة[1]

فضائل الصدقة وآداب العطاء:

تقدم الكلام على أحكامها، والأنواع التي تجب فيها، والمقادير الواجبة في كل نوع، وشروطها في كتاب: (أصول الوصول) فلا حاجة لذكره، وإنما نريد أن نبين هنا طريقة السلف في فضائل الصدقة وآداب العطاء.

روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس في المال حق سوى الزكاة » وأن جماعة من التابعين كانوا يذهبون إلى أن في المال حقوقًا غير الزكاة، منهم إبراهيم النخعي قال: كانوا يرون أن في المال حقوقًا غير الزكاة، ومنهم الشعبي سئل: أفي المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾(البقرة: ١٧٧)، ومنهم عطاء ومجاهد. وقد كان المسلمون يرون المساواة والفرض والقيام بمؤن العجزة من أنفسهم وأهلهم من المعروف والبر والإحسان، وأن ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف. وكذلك مذهب جماعة من أهل التفسير أن قوله عز وجل: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣) وقوله: ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٥٤) مأمور به، وأن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة، وأنه داخل في حق المسلم على المسلمين، وواجب بحرمة الإسلام ووجود الحاجة.

فمن فضائل الزكاة: أن يخرجها في أول ما تجب عليه، وإن قدمها قبل وجوبها إذا رأى لها موضعًا يتنافس فيه ويغتنم خوف فوته من غازٍ في سبيل الله عز وجل، أو في دين مطالب، أو جهاد وغزو، أو إلى رجل فقير فاضل طرأ في وقته، أو ابن سبيل غريب، كان تقدمتها إلى هؤلاء وأمثالهم أفضل وأزكى؛ لأنه من المسارعة إلى الخير، ومن المعاونة على البر والتقوى، وداخل في التطوع بالخير وفعله الذي أمر به، ولا يأمن الحوادث، إذ في التأخير آفات، وللدنيا نوائب وعوائق، وللنفس بدوات، وللقلوب تقليب.

وإن جعل رأس الحول أحد الشهرين كان أفضل فإن في هذين خاصية من الفضائل ليست في غيرهما، فأما شهر رمضان فإن الله تعالى خصه بتنزيل القرآن، وجعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وجعله زمانًا لأداء فرضه الذي افترضه على عباده من الصيام، وشرفه بما أظهر فيه من عمارة بيوته بالقيام، وقد كان مجاهد يقول: لا تقولوا رمضان، فإنه اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا شهر رمضان، وقد رفعه إسماعيل بن أبي زياد، فجاء به مسندًا.

وأما ذو الحجة فإنا لا نعلم شهرًا جمع خمس فضائل غيره: هو شهر حرام، وشهر حج، وفيه يوم الحج الأكبر، وفيه الأيام المعلومات وهي العشرة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق، التي أمر الله تعالى بذكره فيها، وأفضل أيام في شهر رمضان العشر الأواخر، وأفضل أيام في شهر الحجة العشر الأول.

وقد استحب بعض أهل الورع أن يقدم في كل سنة بشهر، لئلا يكون مؤخرًا عن رأس الحول؛ لأنه إذا أخرج في شهر معلوم، ثم أخرج القابل في مثله، فإن ذلك الشهر يكون الثالث عشر، وهذا تأخير فقالوا: إنه إذا أخرج في رجب، ليخرج من القابل في جمادى الآخرة، ليكون سنته بلا زيادة، وإذا أخرج في رمضان، فليخرج من قابل في شعبان، على هذا لئلا يزيد على السنة شيئًا وهذا أحسن، وليتق أن يكون مخرجًا للفرض في كل شهر.

ثـم أن يخرجهـا طيبـة بهـا نفسـه، مسرورًا بها قلبه، مخلصًا لربه، مبتغيًا بها وجهـه، لغيـر ريـاء ولا سـمعة، ولا تـزين ولا تصنع، لا يحب أن يطلع عليها غير الله عز وجل، ولا يرجو في إعطائها ولا يخاف في منعها سواه، وليكن ناظرًا إلى الله تعالى، عارفًا بحسن توفيقه له، وأن يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه، ولا ينتقصه بقلبه، ولا يزدريه، وليعلم أن الفقير خير منه؛ لأنه جعل طهرة وزكاة له، ورفعة ودرجة في دار المقام والحياة، وأنه هو قد جعل سخرة للفقير وعمارة لدنياه، كما حدثنا بعض العارفين قال: أريد مني ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة، فجال في نفسي من أين المعاش، فهتف بي هاتف لا أراه: تنقطع إلينا وتتهمنا؟ فلك علينا أن نخدمك وليًّا من أوليائنا، أو نسخر لك منافقًا من أعدائنا.

وأن يسر ذلك إلى الفقير سرًّا ولا يذكر ذلك، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (البقرة: ٢٦٤) قال: المن أن تذكرها، والأذى أن تظهرها، وحدثت عن بشر بن الحارث قال: قال سفيان: من منَّ فسدت صدقته، قيل: كيف المن يا أبا نصر؟ قال: أن تذكره أو تحدث به، وبعضهم يقول: المن هو أن تستخدمه بالعطاء، والأذى أن تعيره بالفقر، وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل أن يعطيه، والأذى أن تنهره أو توبخه بالمسألة، وفي الحديث: « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر » وقال بعض العلماء: ثلاثة من كنوز البر منها إخفاء الصدقة، وقد روينا مسندًا من طريق: وذلك أسلم لدينه وأقل لآفاته وأزكى لعمله.

وقد روينا في الخبر: لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان. فجمع بين المنة والسمعة كما جمع بين السمعة والرياء، ورد بهن الأعمال، فالمسمع الذي يتحدث بما صنعه من الأعمال ليسمعه من لم يكن رآه، فيقوم ذلك مقام الرؤية، فسوى بينهما في إبطال العمل؛ لأنهما عن ضعف اليقين إذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه، كما لم يقنع المرائي بنظره فأشرك فيه سواه، وألحق المنان بهما؛ لأن في المنة معناهما من أنه ذكره، فقد سمع غيره به، أو رأى نفسه في العطاء، ففخر به، وأداه سرًّا، فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية، فإن تحدث به محي من السر والعلانية، فكتب رياء، فلو لم يكن في إظهار الصدقة مع الإخلاص بها إلا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم، فقد جاء في الأثر: تفضل صدقة السر على صدقة العلانية، سبعين ضعفًا، وفي الحديث المشهور: «سبعة في ظل عرش الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أعطت يمينه » وفي لفظ آخر: « فأخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه » وهذا من المبالغة في الوصف، وفيه مجاوزة الحد في الإخفاء أي: يخفي عن نفسه، فكيف غيره؟ وقد تستعمل العرب المبالغة في الشيء على ضرب المثل والتعجب، وإن كان فيها مجاوزة للحد، من ذلك أن الله عز وجل ذم قومًا ووصفهم بالبخل، وبالغ في وصفهم، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ٥٣) والنقير لا يريده أحد، ولا يطلبه ولا يعطاه؛ لأنه هو النقطة التي تكون على ظهر النواة من منبت النخلة.

كان بعض المخلصين يلقى الدرهم بين يدي الفقير أو في طريقه أو في موضع جلوسه، بحيث يراه وهو لا يعلم من صاحبه، وبعضهم كان يصر ذلك في ثوبه وهو نائم، فلا يعلم من جعله، وقد رأيت من يفعل ذلك فأما من كان يوصل إلى الفقير على يد غيره، ويستكتمه شأنه، فلا يحصى ذلك من المسلمين.

وفيه معنى أشد من هذا وأغمض منه لما قال: فأخفى عن شماله، كان لهذا القول حقيقة في الخفاء، فهو أن لا يحدث نفسه بذلك، ولا يخطر على قلبه، وليس يكون هذا إلا أن لا يرى نفسه في العطاء أصلًا، ولا يجرى وهم ذلك على قلبه كما يقول في سر الملكوت: إن الله تعالى لا يطلع عليه إلا من لا يحدث نفسه به، بمعنى أنه لا يخطر على قلبه ولا يذكره، ولا يشهد نفسه فيه شغلًا عنه بما اقتطع به، وبأنه لا يباليه، فعندها صلح أن يظهر على السر، فإن لم يمكنك على الحقيقة أن تخفي صدقتك عن نفسك، فأخف نفسك فيها حتى لا يعلم المعطي أنك أنت المعطي، وهذا مقام في الإخلاص، فإن أظهرت يدك في الإعطاء فأخفها سرًّا إلى المعطي.

هذا حال الصادق، فقد كان بعض المخلصين يلقى الدرهم بين يدي الفقير أو في طريقه أو في موضع جلوسه، بحيث يراه وهو لا يعلم من صاحبه، وبعضهم كان يصر ذلك في ثوبه وهو نائم، فلا يعلم من جعله، وقد رأيت من يفعل ذلك، فأما من كان يوصل إلى الفقير على يد غيره، ويستكتمه شأنه، فلا يحصى ذلك من المسلمين، وفي الخبر « صدقة السر –

إن أظهرت زكاتك إرادة السنة والاقتداء بك والتحريض على مثل ذلك من غيرك لينافسك فيه أخوك فيسرع إلى مثله أمثالك منهم فحسن، وذلك من التحاض على إطعام المسكين، وقد ندب الله تعالى إليه، وقد قيده في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (الرعد: ٢٢) قيل: سرًّا: التطوع، وعلانية: الصدقة المفروضة.

وقيل: صدقة الليل – تطفئ غضب الرب تعالى » وقد أخبر الله تعالى أن الإخفاء أفضل، ومعه يكون تكفير السيئات فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١).

فإن أظهر مسكين نفسه، وكشف نفسه للسؤال، وآثر التبذل على الصون والتعفف، فلا بأس أن تظهر معروفك إليه، فإن أظهرت زكاتك إرادة السنة والاقتداء بك والتحريض على مثل ذلك من غيرك لينافسك فيه أخوك، فيسرع إلى مثله أمثالك منهم فحسن، وذلك من التحاض على إطعام المسكين، وقد ندب الله تعالى إليه، وقد قيده في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (الرعد: ٢٢) قيل: سرًّا: التطوع، وعلانية: الصدقة المفروضة. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المزمل: ٢٠) القرض الحسن: هو التطوع، وقد قيل: الحلال، كما قال: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (هود: ٨٨) أي: حلالًا. وقد قال تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (البقرة: ٢٧١) فمدح المبدي بنعم، إلا أن ذلك لا يحسن إلا إلى من أبدى نفسه كأنه هذا السائل الذي يسأل بلسانه وكفه.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ ﴾ (البقرة: ٢٧١)، كأنها للمستخفي بالمسألة، وهي لخصوص الفقراء لا يظهرون نفوسهم بما يمنعهم من الحياء والتعفف، فمن أظهر نفسه فأظهر إليه، ومن أخفاها فأخف له. ومن ذلك كشف عورة الفاسق، إنما حرم عليك أن تظهر عورة من يخفى عنك نفسه ويستتر، فإذا أظهر نفسه بها وأعلن، فلا بأس أن تظهر عليه، كما جاء في الخبر: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له.

وينبغي أن يجعل صدقته مما يحبه من المال، ومن جيد ما يدخر ويقتني ويستأثر به النفوس، فيؤثر مولاه به كما أمره، وضرب المثل له فقال: ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾، وقال في ضرب المثل بالعبيد: ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢٦٧) ، أي: لا تقصدوا الردي فتجعلوه لله تعالى، ولو أعطى أحدكم ذلك لم يأخذه إلا على إغماض أي: كراهية وحياء ولا يجعل ما لله تعالى دون ما يستجيد لنفسه أو ما يكره أن يقتنيه لعاقبته، أو يأخذه من غيره، أو ما لا يستحسن أن يهديه لنبيل من العبيد، فتكون قد آثرت نفسك أو عبدًا مثلك على مولاك، فإن هذا من سوء الأدب. ولا يقوَّم بسوء أدب واحد في معاملة بجميع المعاملات وقد روي في معنى قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (الحديد: ١١) قال: طيبًا فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا. وفي حديث إبان عن أنس: (طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية). وفي الخبر: (سبق درهم مائة ألف درهم).

وقد تهدد الله تعالى قومًا جعلوا له ما يكرهون، ووصفت ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم، فأكذبهم في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ (النحل: ٦٢) أي: حقًّا لهم النار، وفي الآية وقف غريب لا يعلمها إلا الحذاق من أهل العربية، فقف على (لا) فيكون نفيًا لوصفهم أن لهم الحسنى، ثم يستأنف بـ (جرم) أن لهم النار، أي: كسب لهم – جعلهم الله ما يكرهون – النار، أي: بجرمهم واكتسابهم.

وإذا دعا لك مسكين عند الصدقة فاردد عليه مثل دعائه؛ حتى يكون ذلك جزاء بقوله، وتخلص لك صدقتك، وإلا كان دعاؤه مكافأة على معروف، فقد كان العلماء يتحفظون من ذلك وهو أقرب إلى التواضع، ولا ترى أنك مستحق لذلك منه لما وصلته به؛ لأنك عامل في واجب عليك لمعبودك، أو توفي للمعطي رزقه، وما قسم له من تعبدك بذلك، وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفًا إلى فقير قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به، ثم يردان عليه مثل قوله، ويقولان: حتى تخلص لنا صدقتنا. وفعل ذلك عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما.

ولا ينبغي أن تقتضي من الفقير الدعاء لك، أو تطالبه بذلك، أو تحب منه الثناء والمدح على ذلك، فإنه ينقص من الصدقة، وإذا كثر منك وقوي أحبطها، وإن كان عليه أن يدعو لك ويثني به عليك، فإنما

يعمل فيما تعبده مولاه به وأمره به، فلا يرى ذلك من حقك عليه.

وإذا وصلت إلى الفقير معروفًا فبحسن أدب، ولين جانب، ولطف كلام، وتذلل وتواضع. وقد كان بعض الأدباء إذا أراد أن يدفع إلى فقير شيئًا، بسط كفه بالعطاء، لتكون يد الفقير هي العليا، وبعضهم كان يضعها بين يديه على الأرض ويسأله قبولها منه، ليكون هو السائل، ولا يناوله بيده إعظامًا له، وهذا يدل على معرفة العبد بربه، وحسن أدبه في عبادته.

ومن أحَبَّ الثناء والذكر على معروفه كان ذلك حظه منه وبطل أجره، وربما كان عليه فضل من الوزر لمحبته الذكر والثناء، فيما لله تعالى أن يفعله، وفي رزق الله لعبده الذي أجراه على يده، فإن تخلص سواء بسواء، فما أحسن حاله.

واستحب للفقير أن يخص ذا المعروف إليه بدعوات شكرًا لما أولاه وتأدبًا وتخلقًا بفعل مولاه؛ لأنه جعله سببًا للخير وواسطة للبر، إذ الله سبحانه وتعالى يشهد نفسه بالعطاء، ثم قد أثنى على عبده وشكر له في الإعطاء، فليقل: « طهر الله قلبك في قلوب الأبرار، وزكى عملك في عمل الأخيار، وصلى على روحك في أرواح الشهداء » فذلك هو شكر الناس والدعاء لهم وحسن الثناء عليهم. ومن شكرهم أيضًا أن لا يذمهم في المنع، ولا يعيبهم عند القبض، فذلك تأويل الخبر: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى) فإن فيه إثبات حكم الأواسط، واستعمال حسن الأدب في إظهار النعم والتخلق بأخلاق المنعم؛ لأنه أنعم عليهم، ثم شكر لهم كرمًا منه. وكذلك في الخبر: العبد الموقن يشهد يد مولاه في العطاء، فحمد ثم شكر للمتقين، إذ جعلهم مولاه سبب جدِّه وظرفًا لرزقه. وفي الخبر: « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له؛ حتى تروا أنكم قد كافأتموه » فإن شكر الله تعالى على العطاء هو اعتقاد المعرفة أنه من الله تعالى لا شريك له فيها، والعمل بطاعته بها.

ومن فضل الصدقة أن يقصد بها الفقراء الصالحين الصادقين من أهل التصوف والدين، ممن يؤثرون التستر والإخفاء ولا يكثرون البث والشكوى، وممن فيه وصف من أوصاف الكتاب: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: حبسوا في طريق الآخرة، لعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلوب أو قصور يد ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ٢٧٣)؛ لأنهم مقصوصوا الجناح، إذ المال للغنى بمنزلة الجناح للطائر فيتنقل بماله حيث شاء من البلاد، وينبسط في شهواته كيف شاء من المراد، والفقير محصور عن ذلك، لا يستطيعه لقبض يده وقدر رزقه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ (الأعراف: ٢٦) قيل: المال، وقيل: المعاش ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ فسمى الله تعالى من لا يعرفهم بالفقر ولا يشهد وصفهم بالتقلل لظهور تعففهم عن المسألة جاهلًا بوصف المؤمنين، ثم أكد وصفهم وأظهر للخلق تعريفهم، بيانًا منه وكشفًا لحالهم إذ ستروها بالعفة، فقال: «تعرفهم بسيماهم» فالسيما هي العلامة اللازمة والخليقة الثابتة دون التحلي، واللبسة الطاهرة ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (البقرة: ٢٧٣) أي: بهذه العلامة أيضًا تعرفهم إن أشكلوا عليك، فإنهم لا يسألون: عفة وقناعة، إلحافًا: لا يلتحفون بالأغنياء، ولا يلاحفون أهل الدنيا تملقًا وضراعة، أي: هم منفردون بأحوالهم، أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم. والإلحاف: الذي مشتق من اللحاف الذي يلتحف به، فيلزم الجسم، فقال: ليسوا ممن يفعل ذلك لا يلتحفون الأغنياء كاللحاف، ولا يلتحفون المسألة إلزامًا كالصنعة كما يلتحف بالثوب.

فهذا هو طريق السلف الصالح في الزكاة، وما كانوا عليه في تأديتها، وأحوال الفقراء الذين هم أهل لها، وما مدحهم الله تعالى به، وهناك مشاهد أصفى وأعلى تجلي لمن عمل بتلك المبادئ، وتناول لمن أخذ بها؛ وجاهد نفسه عليها في ذات الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

هذا هو طريق السلف الصالح في الزكاة، وما كانوا عليه في تأديتها، وأحوال الفقراء الذين هم أهل لها، وما مدحهم الله تعالى به، وهناك مشاهد أصفى وأعلى تجلي لمن عمل بتلك المبادئ، وتناول لمن أخذ بها؛ وجاهد نفسه عليها في ذات الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩).

(١) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي.

الإنسان خليفة الله في الأرض (٣٧)

مقدمة

لما كان الإنسان جوهرة عقد المخلوقات وعجيبة العجائب، وقد جمع الله فيه كل حقائق الوجود مما خلقه في الأرض والسماء وما فيهما، خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته، وجعله خليفة عنه في أرضه، والخليفة في الأرض هو سيد مَن في الأرض ومَن في السماء، وجعل له ملك الأرض مقرًّا للإقامة ومستقرًّا له بعد موته، ثم ينشئه النشأة الثانية، فيمنحه الملك الكبير.

لذلك ابتلاه الله تعالى بأن سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وصرَّفه تصريف الربوبية في المُلْك، فكل ما في المُلْك والمَلَكُوت مسخَّر له بإذنه تعالى.

فإن ذَكَر اللهَ وأطاعه من غير أن يعصيه، وشَكَره فلم يكفره، ووحَّده فلم يجحده؛ تفضل عليه بالملك الكبير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان: ٢٠)، وهذا الملك الكبير هو للإنسان الذي اتبع رسول الله ﷺ حق الاتباع.

وللعقول أن تحتار في الإنسان!، فبينا تراه وروحه الطاهرة سانحة في ملكوت الله الأعلى، مشرفة على قدس العزة والجبروت؛ وإذا بك تراه في أسفل سافلين، أضل من الأنعام وشرًّا من الشياطين، وفوق الأرواح العالية، بل فوق عالين، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥).

لذلك أحببت أن أشرح عجائب قدرة الله في الإنسان، وما سخره الله له من الكائنات، وسبيل نجاته وسعادته، ومهاوى هلاكه وضلاله، وما فصله الإمام المجدِّد السيد محمد ماضي أبو العزائم عن حقيقة الإنسان، والحكمة من إيجاد الخلق، وبدء الحقيقة الإنسانية، وإرسال الرسل، وتأثير الإسلام على الإنسان، ونجاة الإنسان بالمصطفى ﷺ، وما ادعاه أهل الجهالة في خلق الإنسان ورد الإمام أبي العزائم عليهم؛ حتى يتبين للسالك حقيقة خلافة الإنسان عن ربه، ليسلك سبيل السعادة والنجاة، ويتعلق بالإنسان الكامل الذي خلق الله لأجله كلَّ الموجودات ﷺ.

* الدور الإصلاحي للنبي ﷺ لم يبدأ من نزول الوحي عليه.

* وُلد الإمام علي مسلمًا إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح.

* الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة خاصة بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

مرحلة جديدة لإصلاح المجتمع بعد بعثة النبي ﷺ

دوره الإصلاحي بدأ منذ أن أشرقت الأرض بنوره ﷺ

أوضحنا أن الدور الإصلاحي لحضرة النبي ﷺ لم يبدأ من نزول الوحي عليه؛ بل بدأ منذ أن أشرقت الأرض بنوره ﷺ، ففي كل مرحلة من مراحل عمره الشريف وهو يضع أسسًا بقدر سنه والمرحلة العمرية التي يعيشها:

* فتراه مظهرًا للعبودية حين وُلِد ساجدًا...

* ويضع أساسًا للعدل والصلة برفضه الرضاعة من إحدى ثديي السيدة حليمة؛ لأنه قد شاركه فيه أخوه من الرضاعة، فلا يجور رسول الله على حق أخيه...

* وتراه ينبذ عبادة الأصنام وتقديسها والحلف بها وهو مسترضع في بني سعد بن بكر وفي كل مراحل طفولته وصباه، ويظهر الأنفة منها حين أظهر القوم تقديسها...

* وهكذا حتى صار في السن شابًّا، فبدأ يرسم معالم الفتوة بمشاركته في نصرة الحق وإكساب المعدوم ودفع الظلم عن المظلومين، وغيرها من السلوكيات الاجتماعية التي تربط المجتمع برباط قوي من البر والصلة، بشهادة غالية من السيدة خديجة في قولها: "إنك لتصل الرَّحِم، وتقري الضيفَ، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق"...

* ثم يضع أساسًا للعمل الجاد المبني على الأمانة والصدق والإخلاص، فرعى الغنم وكان خير راعٍ، وعمل بالتجارة فكان خير تاجر، فرسم بأمانته وإخلاصه معالم النمو الاقتصادي في المجتمع، ولم يكن ذلك بالأمر الخفيّ؛ بل هيأ الله له من يراه ليحكي عنه ما رآه؛ كميسرة الذي خرج معه في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها.

السيد أحمد علاء أبو العزائم
نائب عام الطريقة العزمية

* وإنه في تلك المرحلة من عمره الشريف ﷺ كان مظهرًا للأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة؛ حتى أن وصفه بـ "الصادق الأمين" لم يطلقها عليه أهل مكة عبثًا، بل عن يقين، واليقين هو ما رأوه فيه ﷺ، حتى استأمنوه على أماناتهم؛ حتى بعد بعثته، ورغم عداوتهم له لم يخافوا غدره؛ لعلمهم يقينًا أنه ﷺ لا يخون أبدًا...

* كما استأمنوه على دمائهم لما حكّموه في قضية وضع الحجر الأسعد مكانه عند إعادة بناء الكعبة المشرفة كما ذكرنا من قبل، ذلك الحدث الذي كاد أن يفتك بأهل مكة بسبب التعصب القبلي لمن ينال شرف وضع الحجر مكانه في الكعبة، فلما رأوه أول داخل عليهم قالوا: "هذا محمد، هذا الصادق الأمين، رضينا بمحمد حَكَمًا"، فتراه ﷺ وقد انصاعت لحكمه وحكمته كل القبائل الحاضرة لهذا الحدث الجلل.

مراحل الإصلاح بعد بعثته الشريفة:

حتى جاء الإذن ونزل الوحي وبدأ ﷺ سلسلة متتالية من مراحل الإصلاح، بدأت بالطبع من داره الشريف، ثم اجتمع سرًّا بالمؤمنين في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ثم خرج بها إلى عشيرته كما قال سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ثم بعد ذلك لأهل مكة ومن حولها كما قال سبحانه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، ثم كان بعد ذلك الإعلان أعم وأشمل كما قال سبحانه: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، حتى وصل خبره إلى أهل الأرض.

في بيته الشريف ﷺ

كان بيته الشريف ﷺ قد أسس بنيانه على أساس متين، بدأت أركانه بسيدنا رسول الله ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام التي آمنت به بمجرد علمها بنزول الوحي، وفي ذلك الوقت كان معهما من بناته السيدة فاطمة الزهراء، ومعهم أيضًا الإمام عليّ بن طالب، وكان قد كفله رسول الله ﷺ صغيرًا، ومن ذلك البيت انطلق النور.

إسلام الإمام عليّ عليه السلام

وانظر إلى ذلك المشهد حين دخل الفتى - الإمام عليّ - الحجرة بعد نزول الوحي - كما اعتاد أن يفعل - ليأنس بجلسة إلى ابن عمه ﷺ بين السيدة خديجة والسيدة فاطمة، فرآهما يركعان ويسجدان، والسيدة فاطمة تتابعهما بالمحاكاة، فوقف في مكانه لا يبرح، ومضت إلى سمعه قراءة تأخذ الألباب بجمالها يرتلها سيدنا محمد ﷺ بصوت عذب، فأخذته من الكلمات نشوة حركت مشاعره، فلم ينتبه إلا وكف رسول الله ﷺ على كتفه تلمسه لمسًا رقيقًا.

وعاد هو من عجبه إلى الاستفسار يستوضح من رسول الله ﷺ، فآنسه رسول الله ﷺ بما أُوحِيَ إليه، فامتلأ قلب الإمام عليّ بما فاض من الآي الحكيم من روعة معنى وحسن بيان.

وقضى الإمام عليّ ليله في هيام، وبينما هو في الصباح إذ رآه صحبة من فتية قريش فنادى أحدهم: بكّرت يا ابن أبي طالب؛ وإنّه لَلسعي إلى البيت؟، فقال الإمام عليّ: ما إليه، قال: فهلم معنا ما لم يحبسك حابس فإنا سنطوف به، قال الإمام علي: لك شأنك دوني، فضحك معاتبًا وقال: عجبًا لك يا ابن أبي طالب؛ تضعك أمك في حرم الأصنام، فقطع الإمام عليّ حديثه وقال: في حرم أبي إبراهيم، أما صواحبكم تلك فأكرم عن مرآها وجهي.

ثم انطلق الإمام عليّ إلى رسول الله ﷺ، فاستقبل النبيّ ﷺ هاشًّا، يشتاق أن يحذو حذوه، وأن يتبعه في هذا الدين الذي لم يكن غريبًا عن الفطرة التي ولد عليها عليه السلام، ولا عن التربية التي ترباها في حجر رسول الله ﷺ، فقال له: "يا ابن عم، إني سمعتُ وأجبتُ، وإني أشهدُ بشهادةِ الإسلامِ أن لا إله إلا اللهُ وأنك لَرَسُولُه".

فكان عليه السلام بعد السيدة خديجة أول من أسلم، فعن زيد بن أرقم قال: "أول من أسلم مع رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب" "رواه أحمد".

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ثم أسلم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وسيأتي الحديث عنهما رضوان الله عليهما.

ولقد بين العقاد في كتابه: "عبقرية الإمام عليّ" حقيقة حال الإمام عليّ وموقفه من الإسلام فقال: لقد ولد مسلمًا على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الأصنام، فهو الذي تربى في البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة من صلاة النبيّ ﷺ وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأمه.

صلاة أهل البيت

وقد ذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد الغروب.

ولكن كانت هذه الصلاة خاصة بحضرة النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

أما عن صلاة الإمام عليّ فقد روى الترمذيّ في سننه عن أنس ابن مالك قال: أنزلت النبوة على رسول الله ﷺ يوم الاثنين؛ وصلى عليّ يوم الثلاثاء.

وقال الإمام عليّ كرم الله وجهه: "أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ" "رواه أحمد في مسنده".

موقف أبي طالب من الإسلام

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا.

لكن أبا طالب عرف ذلك، فقال لعليّ: أي بنيّ؛ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟، فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فقال له: أمَا إنه لم يدْعُك إلَّا إلى خير فَالْزَمْه.

ثلاثة كانوا يصلون قبل أن تفرض الصلاة على الناس

كما كانوا يصلون في الحرم، فمما ورد عن ابن مسعود قال: قدمت إلى مكة، فانتهيت إلى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ جالس إلى زمزم ونحن عنده، إذ أقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان أبيضان، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل، ثم الغلام، ثم طافوا بالبيت، ثم استقبلوا الحجر، وقام الغلام إلى جانب الرجل، والمرأة خلفهما، فأتوا بأركان الصلاة مستوفاة.

فلما رأينا ما لا نعرفه بمكة؛ قلنا للعباس: إنا لا نعرف هذا الدين فيكم، قال: أجل والله، فسألناه: مَن هؤلاء؟، فعرَّفَنا إياهم فقال: الرجل هو ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام هو ابن أخي عليّ بن أبي طالب، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي محمد، ثم قال العباس: هذا حدّثني أن ربّك ربُّ السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وهكذا كانوا يصلون قبل أن تفرض الصلاة على الناس، وهكذا كان حالهم.

الدعوة إلى الله سِرًّا

وقد كان رسول الله ﷺ في تلك المرحلة يدعو الناس إلى دين الله سِرًّا، فأجابه السابقون الأولون بعد السيدة خديجة والإمام عليّ عليهما السلام؛ كأبي بكر الصِّدِّيق، وزيد بن حارثة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وبلال بن رباح، وأبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، وغيرهم، رضوان الله عليهم.

عبقرية الإمام عليٌّ (٣٦)

المفكر الإسلامي الكبير
المرحوم عباس محمود العقاد

بقية: في بيته

أما معيشته في بيته بين زوجاته وأبنائه، فمعيشة الزهد والكفاف ... وأوجز ما يقال فيها: إنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، وإن أحدًا من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه وهو خليفة المسلمين ... وكان الخليفة يوم كانت الخلافة تناقض ملك الدنيا ... فكان بيته نقيض القصر الذي تعرض الدنيا المملوكة بين أركانه وزواياه.

صورة مجملة

من كلمات الإمام التي لم يقلها أحد غيره كلمته في خطاب الدنيا، حيث يقول: "يا دنيا غُرّي غيري ... غُرّي غيري!"

وإنها لأكثر من كلمة، وأكثر من دعاء ...

إنها لسان قدر، وعنوان حياة ...

فقد خلق الإمام، وفي كل خليقة من خلائقه الكبار اجتراء على الدنيا، على ضرب من ضروب الاجتراء.

خلق شجاعًا بالغًا في الشجاعة، وزاهدًا بين الزهد، ودارسًا محبًّا للحقيقة الدينية يتحراها حيث اهتدى إليها ...

والشجاع جريء على الدنيا؛ لأنه لا يبالي الحياة ...

والزاهد جريء على الدنيا؛ لأنه لا يبالي النعيم ...

وطالب الحقيقة جريء على الدنيا؛ لأنها طريق عنده إلى غاية من ورائها ...

فأي مصير لهذا الرجل غير الشهادة في زمن لم يعرف بطارئ من الطوارئ، كما عرف بالإقبال على الدنيا؟ ...

صام الناس قبله عن الدنيا، ثم أقبلوا على الدنيا العريضة بحذافيرها ...

هدأت حماسة الدعوة النبوية، وثابت الطبائع إلى مألوفها الذي أشربت عليه، وتدفقت الأموال من الأمصار المفتوحة على نحو لم تعهده الجزيرة العربية قط في تاريخها القديم ...

وأقبل الناس على الدنيا، بل هرولوا إلى الدنيا ...

وإذا بخليفة جريء عليها زاهد فيها، يقف لهم في طريقها ويصدهم عنها ...

يصد ماذا؟

يصد الطوفان، وهو مندفع من وراء السدود ...

يصد الطبيعة الإنسانية، وهي منطلقة من عقال التقوى ...

يصد ما لا سبيل إلى صده بحال ...

فهو مستشهد لا محالة ولو مات على سريره ... فإن الإنسان قد

يعيش عيشة الشهداء، ولا يلزم بعد ذلك أن يموت ميتة الشهداء ...

وقد لزمته آية الشهادة في كل قسمة كتبت له، وكل حركة سعى إليها أو سعت إليه ...

فمن آيات الشهادة أن يساق إلى الخلافة، ولا حيلة له في اجتنابها ...

ومن آيات الشهادة أن يساق إليها في ساعة الفصل بينها وبين الملك، وتقوم الحوائل كلها بينه وبينها قبل الأوان ...

ومن آيات الشهادة أن يساق إليها، ولا حيلة له في تحقيق أغراضها، ولا في الخروج من مآزقها ...

ومن آيات الشهادة أن يبتلى بأنصاره أشد من بليته بأعدائه، ولا حيلة في تبديل أولئك الأنصار ...

ومن آيات الشهادة ألا تغره الدنيا، وقد غرت حوله كل إنسان ... فهو شهيد، شهيد، شهيد ...

خرج إلى الدنيا والشهادة مكتوبة على جبينه، وخرج منها والشهادة مكتوبة على ذلك الجبين بضربة حسام ...

وصورته المجملة لا تشق على مصور ولا على متفرس؛ لأنها صورة المجاهد في سبيل الله بيده وقلبه وعقله، أو صورة الشهيد ...

وكل امتحان لقدرته أو لعمل من أعماله، ينبغي أن ينعزل عن محنة القدر التي لا يغلبها غالب ...

وقد كان له رأي عالم، وفطنة حكيم، ومشورة مدبر ... ولكننا إذا قلنا: إنه أخفق في العمل؛ لأنه لم يغلب القدر، فذلك تكليف بما لا يطاق.

وإنما نقول: إنه أخفق في العمل ونمسك، ولعله لو تولى الخلافة قبلها أو تولى الملك بعدها لما ظهر منه ذلك الإخفاق ...

وحق لا شك فيه أنه أخفق حيث يشرفه إخفاقه، وحيث يخفق الآخرون لو نصبتهم الأقدار في مثل مكانه ...

ومات وقد حل مشكلة الخلافة بلسانه، وهو إلى اليوم موضع الخلاف عليها وعليه بين أصحاب المذاهب، وأصحاب الأقوال في التاريخ.

فقد كان يود لو أن رسول الله استخلفه من بعده، ولكنه لم يطلب إليه ذلك ... ولا رأى من الحكمة أن يطلبه إليه، قال له ابن عباس ورسول الله في مرض الوفاة: "اذهب إلى رسول الله، فسله فيمن يكون هذا الأمر ... فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا؟" ... قال: "والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدًا والله لا أسألها رسول الله أبدًا" ...

وآمن الإمام بحكمة الرسول إيمان محبة وتصديق، ولكنه لم يفارق الدنيا حتى كان قد آمن بها إيمان تعليم وتطبيق، فلما سألوه: "أنبايع الحسن؟" قال: "لا آمركم ولا أنهاكم". فأنصف الذين سبقوه ولم يفرضوا على الناس استخلافه؛ لأنهم رأوا في موقفه منها مثل ما رأوا في موقف الحسن ابنه، على حكم سواء ...

أي ختام أشبه بهذا الشهيد المنصف من هذا الختام ...

لقد ولد كما علمنا في الكعبة، وضرب كما علمنا في المسجد ... فأية بداية ونهاية أشبه بالحياة، التي بينهما من تلك البداية وتلك النهاية؟!.

ـ من كلمات الإمام عليٍّ التي لم يقلها أحد غيره كلمته في خطاب الدنيا، حيث يقول: (يا دنيا غُرِّي غيري ... غُرِّي غيري!).

وإنها لأكثر من كلمة، وأكثر من دعاء ...

إنها لسان قدر، وعنوان حياة ...

فقد خلق الإمام، وفي كل خليقة من خلائقه الكبار اجتراء على الدنيا، على ضرب من ضروب الاجتراء.

ـ خرج إلى الدنيا والشهادة مكتوبة على جبينه، وخرج منها والشهادة مكتوبة على ذلك الجبين بضربة حسام.

ـ لقد ولد كما علمنا في الكعبة، وضرب كما علمنا في المسجد ... فأية بداية ونهاية أشبه بالحياة، التي بينهما من تلك البداية وتلك النهاية؟!.

نماذج من أدعية الإمام المجدد

دعاء ليلة النصف من شعبان

السيد محمد ماضي أبي العزائم

النموذج السادس

الدعاء الأول بعد صلاة ركعتين

وقراءة ﴿يس﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

إلهِي إلهِي إلهِي، أَنْتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ، وَاسِعُ الجُودِ وَالإحْسَانِ، لَا مِنَّةَ إلَّا مِنَّتُكَ، وَلَا فَضْلَ إلَّا بِيَدِكَ، وَلَا إحْسَانَ إلَّا مِنْكَ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ، وَإحْسَانِكَ الَّذِى شَمِلَ كُلَّ شَىْءٍ، يَا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ أَنْ تَتَجَلَّى لَنَا بِجَمَالٍ تُبَدِّلُ بِهِ سَيِّئَاتِنَا بِإحْسَانِكَ، وَفَقْرَنَا بِغِنًى مِنْكَ عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَضَعْفَنَا بِقُوَّةٍ مِنْكَ، وَجَهْلَنَا بِعِلْمٍ مِنْكَ، وَذُلَّنَا بِعِزٍّ مِنْكَ يَا عزيزُ.

إلهِي إلهِي إلهِي، تَجَلَّ لَنَا بِاسْمِ التَّوَّابِ العَفُوِّ الغَفُورِ، وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَأَقْبِلْ بِوَجْهِكَ الجَمِيلِ عَلَيْنَا، أَنْتَ القَادِرُ لَا يُعْجِزُكَ شَىْءٌ.

إلهِي إلهِي إلهِي، إنْ كُنَّا أَهْلًا لِلْعَذَابِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَإنْ كُنَّا أَهْلًا لِلْعُقُوبَةِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلتَّوْبَةِ وَالمَغْفِرَةِ.

إلهِي إلهِي إلهِي، إنَّ ذُنُوبَنَا كَبِيرَةٌ وَلَكِنَّ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ.

إلهِي إلهِي إلهِي، سَعْنَا بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسِعْتَنَا بِحِلْمِكَ، وَبِحَنَانِكَ كَمَا وَسِعْتَنَا بِمَشِيئَتِكَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، إنَّ ذُنُوبَنَا وَإنْ كَثُرَتْ فَإنَّ عَفْوَكَ أَطْمَعَنَا، وَإنَّ خَطَايَانَا وَإنْ ظَهَرَتْ فَإنَّ إحْسَانَكَ أَرْجَى لَنَا.

إلهِي إلهِي إلهِي، لَا نَزَالُ نُخْطِئُ وَتَغْفِرُ، وَنَتُوبُ وَتَعْفُو، لأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ، وَنَحْنُ أَهْلٌ لِذَلِكَ، عَامِلْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ وَلَا تُعَامِلْنَا بِمَا نَحْنُ أَهْلٌ لَهُ يَا غَفُورُ يَا تَوَّابُ، يَا عَفُوُّ أَنْتَ افْتَتَحْتَ إيجَادَنَا وَإمْدَادَنَا بِفَضْلِكَ العَظِيمِ، فَافْتَحْ لَنَا العَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالغِنَى عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَالإقْبَالَ عَلَيْكَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، وَجِّهْنَا وُجُوهَنَا، وَرَفِّعْنَا قُلُوبَنَا، وَبَسِّطْنَا أَكُفَّنَا إلَى قَابِلِ التَّوْبِ وَغَافِرِ الذَّنْبِ، مُعْتَرِفِينَ بِالْخَطَايَا مُقِرِّينَ بِالذُّنُوبِ، وَأَنْتَ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ تَرُدَّ ضَارِعًا، وَأَنْتَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ وَوَاسِعُ الرَّحْمَةِ، لَا تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُنَا وَلَا تَنْفَعُكَ طَاعَتُنَا، أَسْأَلُكَ بِسِرِّكَ الظَّاهِرِ وَبِجَمَالِكَ الْجَلِيِّ وَكَمَالِكَ الْعَلِيِّ، أَنْ تُوَاجِهَنَا بِوَجْهِكَ الْجَمِيلِ يَا مُجِيبَ الدُّعَاءِ، بسرّ قوْلِكَ سبحانك: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢- ٨٣). وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الدعاء الثاني بعد صلاة ركعتين

وقراءة ﴿يس﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

رَبِّى لَكَ الْحَمْدُ كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَلَكَ الشُّكْرُ وَلَكَ النَّعْمَاءُ وَلَكَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ، لَا أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، أَنْتَ الْوَلِىُّ وَأَنْتَ الْحَنَّانُ، وَأَنْتَ الْقَرِيبُ وَأَنْتَ الْمَنَّانُ، وَأَنْتَ الْمُجِيبُ وَأَنْتَ ذُو الإحْسَانِ.

رَبِّى إِلَيْكَ وَجَّهْنَا وُجُوهَنَا، وَأَسْنَدْنَا ظُهُورَنَا، وَفَوَّضْنَا أُمُورَنَا، أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا سُبْحَانَكَ أَنَّكَ قَرِيبٌ تُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِى إِذَا دَعَاكَ.

رَبِّى يَا قَرِيبُ، رَبِّى يَا مُجِيبُ: هَا أَنَا الدَّاعِى السَّائِلُ، هَا أَنَا المُلِحُّ فِى الدُّعَاءِ وَأَنْتَ الْقَرِيبُ سُبْحَانَكَ، إِذَا سُئِلْتَ أَجَبْتَ، وَإِذَا دُعِيتَ لَبَّيْتَ، تُجِيبُ مِنَّا الدُّعَاءَ، فَهَا نَحْنُ يَا رَبَّنَا نَدْعُوكَ مُتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ بِذُلٍّ هُوَ جَمَالُنَا،

وَبِفَقْرٍ هُوَ حَسْبُنَا، وَبِاضْطِرَارٍ هُوَ كَمَالُنَا، وَبِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ هِيَ رَجَاؤُنَا فِي نَيْلِ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ.

إلهِي، إنَّ بُكَاءَ المُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ تَسْبِيحِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَتَوْبَةِ التَّائِبِينَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عَمَلِ الْمَحْبُوبِينَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، أَنْتَ الْمَسْئُولُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَأَنْتَ الْمَدْعُوُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْتَ الْمَرْجُوُّ فِي كُلِّ شَأْنٍ، أَسْأَلُكَ بِسِرِّكَ الْمَكْنُونِ، وَبِغَيْبِكَ الْمَصُونِ، وَبِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، وَبِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، وَبِعِلْمِكَ الَّذِي انْفَرَدْتَ بِعِلْمِهِ، أَنْ تَتَجَلَّى لَنَا بِالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ وَوَاسِعِ الرَّحْمَةِ وَعَمِيمِ الْمِنَّةِ، فَأَبْدِلْ يَا إلهِي ذُنُوبَنَا بِإِحْسَانِكَ، وَأَمْرَاضَنَا بِشِفَائِكَ، وَضَعْفَنَا بِقُوَّتِكَ، وَفَقْرَنَا بِغِنَاكَ، وَذُلَّنَا بِعِزِّكَ، وَقَرِّبْنَا مِنْكَ، بِاسْمِكَ الْجَامِعِ، يَا جَامِعُ اجْمَعْنَا عَلَيْكَ، يَا قَرِيبُ قَرِّبْنَا مِنْكَ، يَا مُوَفِّقُ وَفِّقْنَا لِجَنَابِكَ، يَا مُغِيثُ فَأَغِثْنَا بِكَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، أَنْتَ لَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنَّا مُذْنِبِينَ مُخْطِئِينَ أَبْدِلْ يَا إلهِي حَالَنَا بِحَالٍ تُحِبُّهُ، وَأَعْمَالَنَا بِأَعْمَالٍ تَقْبَلُهَا، وَشُئُونَنَا بِشُئُونٍ تَقْبَلُنَا عَلَيْهَا.

إلهِي إلهِي إلهِي، اجْذِبْنَا إِلَيْكَ، وَقَرِّبْنَا مِنْكَ, وَوَاجِهْنَا بِوَجْهِكَ، وَفَرِّحْنَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، تَنَزَّلْ لَنَا بِعَوَاطِفِكَ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ، أَكْرِمْنَا وَأَوْلَادَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَحْبَابَكَ بِكَرَمِكَ.

إلهِي إلهِي إلهِي، أَحْيِ السُّنَّةَ، وَقَوِّ الْجَمَاعَةَ، وَامْحُ الْبِدْعَةَ وَالضَّلَالَةَ، وَوَسِّعْ أَرْزَاقَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، وَادْفَعْ عَنَّا يَا دَافِعُ كُلَّ شَرٍّ وَضُرٍّ، وَبَلَاءٍ وَغَلَاءٍ، وَسِقَمٍ وَمَرَضٍ، وَأَعِذْنَا بِوَجْهِكَ الْجَمِيلِ مِنَ الْفِتَنِ الْمُخِلَّةِ، وَالأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَامْنَحْنَا نُورَكَ وَقُرْبَكَ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ يَا مُجِيبَ الدُّعَاءِ، وَسِيلَتُنَا الْعُظْمَى حَبِيبُكَ وَمُصْطَفَاكَ، وَذُلٌّ وَخُشُوعٌ وَتَبَتُّلٌ وَمَسْكَنَةٌ وَخُنُوعٌ وَتَمَلُّقٌ. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، بِسِرِّ قَوْلِكَ سبحانك: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢- ٨٣).

الدعاء الثالث بعد صلاة ركعتين

وقراءة ﴿يس﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

اللَّهُمَّ يَا ظَاهِرًا بِجَمَالِكَ، يَا بَاطِنًا بِكَمَالِكَ، يَا مُغِيثًا لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ، يَا مُعِينًا لِمَنِ اسْتَعَانَ بِكَ، هَا نَحْنُ عَبِيدُكَ الضُّعَفَاءُ، بَسَطْنَا أَكُفَّنَا، وَوَجَّهْنَا وُجُوهَنَا، وَاقِفِينَ عَلَى بَابِ إِحْسَانِكَ، وَأَنْتَ الْكَرِيمُ الْعَطُوفُ.

إلهِي، نَضِّرْ وُجُوهَنَا بِجَمَالِكَ، وَعَمِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِكَ، وَجَمِّلْ ظَاهِرَنَا بِالاسْتِقَامَةِ، وَأَحْوَالَنَا بِالْكَرَامَةِ، وَأَقْبِلْ بِوَجْهِكَ الْجَمِيلِ عَلَيْنَا، وَقَابِلْنَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ.

إلهِي، تَنَزَّلْ لَنَا بِحَنَانِكَ، وَتَعَطَّفْ عَلَيْنَا بِوِدَادِكَ، وَأَمِدَّنَا بِرُوحَانِيَّةِ حَبِيبِكَ، وَاجْعَلْنَا إِخْوَانَهُ وَأَنْصَارَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَفِي أَوْلَادِنَا وَفِي إِخْوَانِنَا.

إلهِي إلهِي إلهِي، أَنْتَ رَبُّنَا لَا شَرِيكَ لَكَ، أَوْرِدْنَا مَوَارِدَ الْمَحْبُوبِينَ، وَأَشْهِدْنَا مَشَاهِدَ الْمُحِبِّينَ، وَاسْقِنَا طَهُورَكَ الصَّافِي، وَأَنِلْنَا حُبَّكَ الْمُصَافِي، وَتَوَلَّنَا يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ.

إِلَهَنَا وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَسْأَلُكَ بِسِرِّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَنُورِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَنْ تَجْعَلَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، الْقَائِمِينَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، الْمُجَدِّدِينَ بِأَسْرَارِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

إلهِي إلهِي إلهِي، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، اجْعَلْنَا أَنْصَارًا لَهُ ﷺ، وَجَمِّلْنَا بِجَمَالِ أَهْلِ مَعِيَّتِهِ، وَامْنَحْنَا فَتْحًا قَرِيبًا، وَنُصْرَةً دَائِمَةً، وَقُرْبًا مِنْكَ أَبَدًا.

إلهِي، بِحَقِّ الْقُرْآنِ، وَبِنُورِ الْقُرْآنِ: أَشْهِدْنَا جَمَالَ الْقُرْآنِ، وَآمِنَّا بِالْقُرْآنِ، وَجَمِّلْنَا بِالْقُرْآنِ، وَعَلِّمْنَا بِالْقُرْآنِ، وَاشْفِنَا بِالْقُرْآنِ، وَأَحْيِنَا بِالْقُرْآنِ.

إِلَهَنَا إِلَهَنَا إِلَهَنَا، سَأَلْنَاكَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تَرُدَّنَا، وَأَعْلَى وَأَجَلَّ مِنْ أَنْ تُخَيِّبَنَا.

إِلَهَنَا إِلَهَنَا إِلَهَنَا، آنِسْنَا بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَامْنَحْنَا الْبَهْجَةَ فِي دِينِنَا لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِكَ وَتَجْدِيدِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَالْفَرَحِ فِي الْبَرْزَخِ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِكَ وَدَوَامِ الْمُؤَانَسَةِ بِكَ وَالرِّضَا عَنْكَ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ أَكْرَمْتَهُمْ بِمَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَكَ يَا مَلِيكُ يَا مُقْتَدِرُ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾. بِسِرِّ قَوْلِكَ سبحانك: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢- ٨٣). وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

نكتب بقلم الرصاص احتراماً لمحاة الرأى الآخر

فقه مالك والمالكية

(١٥)

بقية: رجاله وعصره وآثارهم

بقية: المدخل:

بقية: المنهج النقدي وأثره في تطور المذهب المالكي:

أرجع بعضهم سبب تباين الفتوى بين الفقهاء من نفس المذهب إلى وجود مجموعات من الفقهاء المالكية، كمجموعة المدنيين والعراقيين والمصريين والمغاربة، وبحكم اختلاف بيئاتهم، اختلفت آراؤهم واختلف تشهيرهم لبعض الأقوال عن البعض الآخر، فالعراقيون كثيرًا ما يخالفون المغاربة في تعيين المشهور، ويشهرون بعض الروايات، وكذا المغاربة والمصريون في تقديم بعض الروايات على بعض. ولكنهم اتفقوا جميعًا على قواعد أساسية، تظهر فيمن كان له أهلية الاجتهاد، والعلم بالأدلة وأقوال العلماء وأصول مأخذهم، فإن هذا له تعيين المشهور، وأما من لم يبلغ هذه الدرجة وكان حظه من العلم نقل ما في الأمهات فليس له ذلك، ويلزمه اقتفاء ما شهره أئمة المذهب. ومن الأسس عند فقهاء المالكية أن قول ابن القاسم هو المشهور في المذهب، إذا كان في المدونة، والمشهور في اصطلاح علماء المغاربة هو مذهب المدونة، والعراقيون كثيرًا ما يخالفون المغاربة في تعيين المشهور ويشهرون بعض الروايات، والذي جرى به عمل المتأخرين اعتبار تشهير ما شهّره المصريون والمغاربة وتقديم المصريين على ما سواهم ظاهر؛ لأنهم أعلام المذهب لأن منهم ابن وهب وقد علمت جلالته وابن القاسم وأشهب.

فانحصر بهذا الخلاف في المشهور في قولين: هل هو ما قوي دليله؟، أو ما كثر قائله؟ .

لم يستقر الخلاف في تفسير المشهور على قول واحد، فهناك من العلماء من رجَّح تفسيره بما كثر قائله، وإليه مال ابن الحاجب وشهره العدوي، وقال الدسوقي في حاشيته على الدردير: (هو المعتمد). وصوبه أبو عبد الله القادري في رفع العتاب والملام، والرجراجي، ويقول أبو الشتاء الصنهاجي:

والقول إن كثر من يقول به

يسمى بمشهور لديهم فانتبه

ومنهم من اعتمد تفسيره بما قوي دليله، فيكون مرادفًا للراجح، كما

الدكتور
محمد الإدريسى الحسنى
الجمهورية الليبية

نص عليه صاحب البهجة، حيث قال: (المشهور ما قوي دليله، وقيل: ما كثر قائله، والصحيح الأول) وأحمد الونشريسي في المعيار، وصححه ابن بشير وابن خويز منداد، فقد نُقل عنه في كتابه (الجامع لأصول الفقه) قوله: (إن مسائل المذهب تدل على أن المشهور ما قوي دليله، وأن مالكًا رحمه الله كان يراعي من الخلاف ما قوي دليله، لا ما كثر قائله، فقد أجاز الصلاة على جلود السباع إذا ذكيت وأكثرهم على خلافه، وأباح بيع ما فيه حق توفية من غير الطعام قبل قبضه...)). وقال ابن عبد السلام: (إنه الذي تشهد له مسائل المذهب). ومذهب جمهور المالكية أنه ما كثر قائله، لا ما قوي دليله؛ لأنه التفسير المناسب للمعنى اللغوي في لفظ المشهور، ولأن مذهب الفقهاء والأصوليين تقديم الراجح على المشهور عند معارضتهما، ولو لم نفسر المشهور بما كثر قائله،

بأن فسرناه بما قوي دليله لكان مرادفًا للراجح، فلا تتأت معارضتهما، حتى يقال يقدم الراجح عليه، ولأن العلماء ذكروا أن أحد القولين قد يكون مشهورًا لكثرة قائله، وراجحًا لقوة دليله.

من هذا تبرز مسألة القول المساوي لمقابله، وبأيهما يفتى، إذا تساوى القولان من كل وجه واستحال إبراز أحدهما على الآخر، وهنا تتساوى صحة الفتوى، التي يختارها الفقيه، أو يترك الأمر للمفتى له. ولكن إذا صح في المسألة قول راجح، أو قول مشهور، فالمعتمد أحدهما، ولا يجوز العدول عن الراجح أو المشهور، إلى الضعيف أو الشاذ، إلا إذا كان العمل عليه، فما هو القول الضعيف؟ وما القول الشاذ؟ ومتى يعدل عن الراجح والمشهور إلى مقابلهما؟

الضعيف هو ما لم يَقْوَ دليله، بأن يكون عارضه ما هو أقوى منه فيكون ضعفه نسبيًّا، أي ضعيف بالنسبة لما هو أقوى منه، وإن كان له قوة في نفسه، أو يكون خالف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي فيكون ضعيفًا في نفسه ويسمى هذا القسم الثاني من الضعيف: بضعيف المدرك، أما القول الشاذ فهو القول الذي لم يصدر من جماعة، وقد يطلق الضعيف كالشاذ على كل من مقابل المشهور والراجح.

هناك حالات تستثنى من قاعدة: تقديم الراجح والمشهور على مقابلهما نص علماء المالكية أن الحكم يمضي فيها بالضعيف والشاذ إن وقع على سبيل تحري الصواب: (ذلك أن بعض المسائل فيها خلاف بين فقهاء المذهب، فيعمد بعض القضاة إلى الحكم بقول مخالف للمشهور لدرء مفسدة، أو لخوف فتنة، أو جريان عرف في الأحكام التي مستندها العرف لا غيرها، أو نوع من المصلحة... ويقتدى به ما دام الموجب الذي لأجله خالف المشهور في مثل تلك البلد، وذلك الزمن، وهذا مبني على أصول المذهب المالكي...فإذا كان العمل بالضعيف لدرء مفسدة، فهو على أصل مالك في سد الذرائع، أو جلب مصلحة، فهو على أصله في المصالح المرسلة... فإذا زال الموجب، عاد الحكم بالمشهور. وباب العمل بالضعيف في الفتوى والأحكام ليس مفتوحًا لكل أحد بل هو (حرام إلا لمجتهد ظهر له رجحانه فلا يبقى ضعيفًا عنده، ولا عند من قلده، أو لضرورة دعت المقلد لعمل به في نفسه يومًا ما) كما جاء في كتاب الفكر السامي، للحجوي الثعالبي (٤٦٥/٤)، كما أن الضعيف يقدم على المشهور إذا جرى به العمل؛ لأنه يقوى به. عبد الله العلوي الشنقيطي في منظومته مراقي السعود (٣٣٣/٢).

وقدم الضعيف إن جرى عمل
به لأجل سبب قد اتصل

يعني: أنه يجب تقديم القول الضعيف في العمل به على المشهور إذا تخالفا، إذا ثبت العمل بشهادة العدول إذا كان العمل موافقًا لقول، وإن كان شاذًّا... ويشترط في جريان العمل بالضعيف، أن يكون لسبب اتصل بنا، أي وجد عندنا من حصول مصلحة أو درء مفسدة وإلا فلا نعمل بالضعيف الجاري به عمل في بلد مغاير لجلب مصلحة أو درء مفسدة عندهم قد لا تكون موجودة في بلاد أخرى. واشترط علماء المالكية لتقديم الضعيف الجاري به العمل على المشهور خمسة شروط، وهي:

١- ثبوت عمل العلماء بالضعيف من غير شك في ذلك، فإذا وقع الشك هل عمل العلماء بمقابل المشهور أو لا، فإنه يجب العمل بالمشهور.

٢- كون العالم الذي أجرى هذا العمل أهلًا للاقتداء، فإذا جرى عمل بمقابل المشهور ممن لا يقتدى به فالواجب علينا إتباع المشهور.

٣- أن يكون ذلك العمل لمصلحة وسبب فإذا انتفت المصلحة والسبب وجب العمل بالمشهور.

٤ – معرفة المكان؛ لأن العمل قد يكون خاصًّا ببعض الأمكنة دون بعض وقد يكون عامًّا في جميع الأمكنة.

٥ – تحديد الزمان فقد يكون خاصًّا في بعض الأزمنة دون بعض وقد يكون عامًّا في جميع الأزمنة، لأن المصلحة قد تكون في زمن دون زمن وقد تستمر في جميع الأزمنة.

قد يُبنى المشهور على ضعيف: بمعنى أن القول المشهور الذي كان الحكم به، هو في نفسه ضعيفًا، ولكن كثر قائلوه، ولا غرابة في بناء مشهور على ضعيف، على حد تعبير الإمام الخرشي والإمام الدسوقي.

*** أرجع بعضهم سبب تباين الفتوى بين الفقهاء من نفس المذهب إلى وجود مجموعات من الفقهاء المالكية، كمجموعة المدنيين والعراقيين والمصريين والمغاربة، وبحكم اختلاف بيئاتهم، اختلفت آراؤهم واختلف تشهيرهم لبعض الأقوال عن البعض الآخر.**

*** إن مسائل المذهب تدل على أن المشهور ما قوي دليله، وأن مالكًا ﷺ كان يراعي من الخلاف ما قوي دليله، لا ما كثر قائله، فقد أجاز الصلاة على جلود السباع إذا ذكيت وأكثرهم على خلافه، وأباح بيع ما فيه حق توفية من غير الطعام قبل قبضه.**

*** قد يُبنى المشهور على ضعيف: بمعنى أن القول المشهور الذي كان الحكم به، هو في نفسه ضعيفًا، ولكن كثر قائلوه، ولا غرابة في بناء مشهور على ضعيف، على حد تعبير الإمام الخرشي والإمام الدسوقي.**

نُصْرَةُ النَبِـي الْمُخْتَارِ فِـي أَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهَارِ (٨٧)

بقية: ابتلاءات أهل البيت ومحنهم

بقية: ابتلاء واستشهاد آل البيت في عهد الدولة الأموية

بقية: ٣ـ إبتلاء السيدة زينب بنت على رضي الله عنهما: بطلة كربلاء[١]:

للسيدة زينب أقوال كثيرة تروى عنها، كما كان لها فى الليل تهجدات وعبادات لله والناس نيام، وضراعات لخالق الأكوان وبارئ النسمات فمن ذلك قولها: "يا من لبس العز وتردى به، وتعطف بالمجد وتحلى به، أسألك بمعاقل العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ﷺ، وأن تجمع لى خير الدنيا والآخرة".

ومن ذلك قولها أيضًا: "يا عماد من لا عماد له، ويا سند من لا سند له، يا من سجد لك سواد الليل وبياض النهار، وشعاع الشمس، وحفيف الشجر ودوى الماء يا الله، يا الله، يا الله".

وما أبلغ قولها عظة واعتبارًا بالأقدار من حولها، حين تقول أو يقال على لسانها شعرًا:

سهرت عيون ونامت عيون
فى أمور تكون أو لا تكون
إن ربًّا كفاك ما كان بالأمس
سيكفيك فى غد ما يكون
فادرأ الهم ما استطعت عن الـ
نفس، فحملانك الهموم جنون[٢]

وبرغم معركة كربلاء فإن المأساة لم تهزها وتخرجها عن وقارها وصبرها حتى حين حُملت – هى ومن بقى معها أحياء بعد المعركة – على أقتاب الجمال، ومرت على مصارع الشهداء، ووقعت أبصار النساء والأطفال على أبشع منظر قالت السيدة زينب كلامًا فصيحًا أبكى كل عدو قبل الصديق. وكان له أعظم الأثر فى الإحساس بفداحة ما أقدم عليه الأعداء من فعلة شنعاء.

ولما أقبل الركب على الكوفة خرج أهل الكوفة يبكون ويناولون أطفال الركب بعض التمر والخبز والطعام، فكان خطابها التاريخى لأهل الكوفة الذين خذلوا أهل البيت للمرة الثالثة:

وهنا صاحت فيهم السيدة أم كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام نحن أهل البيت، وأخذت التمر وألقت به والناس حولهم يبكون، فنظرت إليهم قائلة: صه يا أهل الكوفة، يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا الله يوم فصل القضاء، وأطلت السيدة زينب برأسها من المحمل، لتنظر ما تسمعه من ضجة عالية فإذا بها ترى مشهدًا رهيبًا يفتت الأكباد، رأت رأس

المستشار
رجب عبد السميع

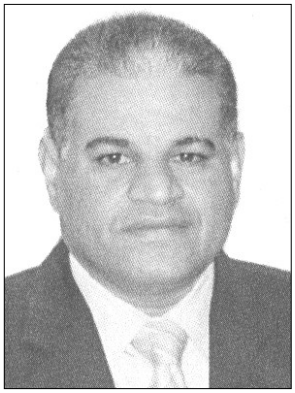

المفكر الصوفي
عادل سعد

أخيها الحسين محمولًا على رمح فأنَّتْ أنَّةً شديدة خلعت القلوب وأشخصت الأبصار، فقالت:

يا هلالًا لما استتم كمالًا
هاله خسفه فأبدى كسوفًا
ما توهمت يا شقيق فؤادى
كان هذا مقدرًا مكتوبًا

ثم أشارت إلى الناس فسكتت أصواتهم وأخذت تخاطبهم بلسانها الفصيح: "يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا. أتبكون وتنشجون، أي والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلًا، فقد ذهبت بعارها وشنارها ضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أى كبد فريتم، وأى كريمة أبرزتم، وأى دم سفكتم، وأى حرمة انتهكتم.

"أتعجبون لو أمطرت دمًا .. ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم، أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون".

وحين دخلت على ابن زياد في الكوفة، وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

ردت السيدة زينب بشجاعة قائلة: "الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه ﷺ وطهرنا من الرجس تطهيرًا، إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا".

فلم يصبر ابن زياد على قولها بل رد عليها مغتاظًا: كيف رأيت صنع الله فى بيتك وأخيك؟

كما تجلت بلاغة وشجاعة السيدة زينب مع ابن زياد تجلت أيضًا مع يزيد بن معاوية فى دمشق. إذ وقفت منه موقفًا يعبر عن صدق يقينها وشدة إيمانها.

وهنا ترد السيدة زينب ويتجلى فى ردها كل معاني الإيمان والصبر والشجاعة قائلة: "ما رأيت إلا خيرًا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم. وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة".

وهنا يقول ابن مرجانة: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهلك.

فترد عليه السيدة زينب قائلة: "لعمرى قد قتلت كهلي وأبدت أهلي وقطعت فرعى وأجتثثت أصلى، فإن يشفيك هذا فقد اشتفيت".

فقال في غيظ: هذه سجَّاعة لقد كان أبوها سجَّاعًا شاعرًا.

فقالت السيدة زينب ترد على ابن زياد: "يا ابن زياد، ما للمرأة والسَّجاعة، وإن لى عن السَّجاعة لشغلًا، وإني لأعجب ممن يشتغل بقتل أئمته، ويعلم أنهم منتقمون منه فى آخرته".

السيدة زينب ﵂ فى دمشق:

كما تجلت بلاغة وشجاعة السيدة زينب مع ابن زياد تجلت أيضًا مع يزيد بن معاوية فيس دمشق. إذ وقفت منه موقفًا يعبر عن صدق يقينها وشدة إيمانها.

فقد أظهر فرحته الكبرى بإبادته لعترة رسول الله ﷺ، فقد صفا له الملك، واستوثقت له الأمور، وأخذ يهز أعطافه جذلانًا متمنيًا حضور القتلى من أهل بيته ببدر ليريهم كيف أخذ بثأرهم من النبي ﷺ في ذريته، وراح يترنم بأبيات ابن الزبعري قائلًا أمام الملأ بصوت يسمعه الجميع:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلوا واستهلوا فرحًا
ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحى نزل
لست من خندف إن لم انتقم
من بنى أحمد ما كان فعل

ولما سمعت العقيلة هذه الأبيات التي أظهر فيها التشفي بقتل عترة رسول الله ﷺ انتقامًا منهم لقتلى بدر، سحقت جبروته وطغيانه فكأنها هي الحاكمة والمنتصرة وهو المخذول والمغلوب على أمره، وقد خطبت هذه الخطبة التي هي من روائع البلاغة والبيان، سنوردها كاملة في المقال المقبل إن شاء الله تعالى.

---

(١) أحمد أبو كف: آل بيت النبى ﷺ فى مصر، دار المعارف.

(٢) هذه الأبيات فى رواية أنها للإمام الشافعي.

النَّص المُتشظِّي المشروع الصهيوني من ريف دمشق إلى قطاع غزة

(٩)

بقية: الصهيونية

من التبرؤ إلى الاستيطان

إلى ترويج السيرة الذاتية

بقية: فكرة تأسيس الدولة:

الأمر الذي لم يعد خافيًا على المراقبين للمسألة الصهيونية، أن هناك مرحلة رئيسة بعد قيام دولة إسرائيل تحديدًا مرحلة السيرة الذاتية لهذا الكيان غير الطبيعي في الأراضي العربية، وهو المساعدات الأمريكية غير المنتهية، ففي عام ١٩٨٤م أقرضت الولايات المتحدة إسرائيل مئة مليون دولار، وبعدها بعام واحدة أي في ١٩٤٩م قامت بمساعدة إسرائيل من أجل إنمائها بمنحة قيمتها مئة وخمسين مليون دولار، في الوقت الذي فرضت شروطًا صارمة على بيع الأسلحة إلى باقي الدول العربية وهذا ما حدث بالفعل في ١٩٥٤م، وفي الوقت الذي تمد فيه الولايات المتحدة الأمريكية إسرائيل بأحدث الأسلحة النووية تلجأ هي إلى قرارات مجلس الأمن المسيس بضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أية أسلحة نووية حفاظًا على تميز إسرائيل العسكري من ناحية، وبقاء للسيادة العسكرية الأمريكية من ناحية أخرى.

وقد يعجب القارئ حينما يكتشف وجود عدة مؤتمرات ومنظمات أمريكية يهودية استهدفت ربط سلامة أمريكا بسلامة إسرائيل مثل مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية من أجل إسرائيل ومقره بنسلفانيا وشعاره: " حتى تكون مسيحيًّا يجب أن تكون يهوديًّا "، ومهمته نشر بيانات صحافية تأييدًا لإسرائيل، وكذلك الاتحاد المسيحي من أجل سلامة أمريكا الذي يؤكد نظرية رضى الرب على أمريكا من خلال حسن معاملتهم لإسرائيل، بالإضافة إلى منظمة " جبل المعبد " ومهمتها إعادة بناء هيكل سليمان في القدس، ومقرها مدينة القدس نفسها، وهي تقوم بمهمة جمع الأموال لامتلاك العقارات والمباني المجاورة لموقع الهيكل بالإضافة إلى الإنفاق على عمليات الحفر التي تجري ليل نهار تحت المسجد الأقصى.

أخطر ما في الأمر أن خطابنا الثقافي والديني تجاه الكيان الصهيوني لا يزال يردد النغمة القديمة والمكرورة والتي تشير بأن الصهاينة هم أرذل البشر وأنهم القردة والخنازير وعلينا محاربتهم دومًا، وهذا ليس بكفيل لتحقيق النصر والانتصار على كيان ليس طبيعيًّا؛ لأنه بالفعل جنين مشوه بأرض عربية إسلامية، لقد اعتدت سماع الخطب وقراءة الكتب التي يمكن توصيفها بالرقائق، تلك التي تندد بإسرائيل وبأهلها وأنهم أهل دعارة وفجور وفساد،

ويميلون بطبيعتهم إلى الغدر والخيانة، وعشرات بل ومئات المنشورات الورقية التي توزع على المارة من أجل تصوير المجازر الإسرائيلية، لكن الأمر ينبغي أن يتعدى هذا الفعل الأخرس؛ لأن إسرائيل بالفعل تعمل وتنتج وتصدر وتبتكر وتسعى بأي صورة مشروعة وغير مشروعة للتسيد وافتراس المنطقة العربية من خلال نخب من العلماء والمخترعين والمبدعين.

وكثيرًا ما أرى أسماء كثيرة إسرائيلية ضمن قوائم علماء الطبيعة والرياضيات والفلك والاقتصاد والصناعة عمومًا والزراعة مؤخرًا، وقلما أجد أسماء لامعة أو ذات مكانة مرموقة في مجال الأدب والشعر والفلسفة والتاريخ، على العكس من واقعنا المتأجج أدبًا وكلامًا وأقوالًا.

إسرائيل
عندما ترتدي قناع الاعتدال
الفكرة والدولة

حديث عن الصهيونية:

" إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر وبين العرب في آسيا.. والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر في هذه البوابة، لتكون بمنزلة

الدكتور بليغ حمدى إسماعيل
أستاذ المناهج وطرق تدريس اللغة العربية المساعد
كلية التربية - جامعة المنيا

حاجز يمنع الخطر العربي ويحولُ دونه". (رجل المال اليهودي البريطاني اللورد روتشيلد في خطابه لوزير الخارجية السير بالمرستون، مارس/آذار ١٨٤٠م).

في حديثه عن الصهيونية ، يقول مايكل أنجلو ياكوبوتشي في كتابه الضخم (أعداء التسامح) والذي قام بترجمته الفيلسوف اللغوي ذائع الصيت إمبرتو إيكو، تحديدًا في الجزء الخاص بالحديث عن الصهيونية: " إذا لم نضع في اعتبارنا هذا المسار في التفكير ، فلن يكون بوسعنا أن نلم بخصوصية الحدث غير العادي في التاريخ اليهودي الحديث ألا وهو الصهيونية ، فالانقسامات والجدل الذي أثارته الصهيونية يمكن تفسيرها في جزء كبير منها على ضوء الجدل حول العلمانية ، فمن وجهة نظر العلمانية ليس للحدث أثر غير عادي ، ففي القرن التاسع عشر الذي سيطر فيه الحماس القومي كان من الطبيعي جدًّا أن يطمع الشعب اليهودي في أن يكون له وطن خاص به بأرض وحكومة وعلم.

وعندما بدأت الفكرة في التبلور من خلال مشروعات سياسية ملموسة كما يذكر ياكوبوتشي (٢٠١٠م، ص١٤٤ - ١٤٥) دعا تيودور هرتزل إلى أول اجتماع لما سماه الحركة الصهيونية في بازل عام ١٨٩٧م مسترجعًا بعض الاستشهادات التوراتية لاسيما ما ذكر في المزمور (١٣٧ ، ١): " جلست عند مياه بابل أبكي ذكرى صهيون". ولم تلق الفكرة قبولًا لدى أوساط الشتات المختلفة، ولكن أيضًا لدى التمثيل الدبلوماسي لبعض القوى الكبرى، لدرجة أنه في النهاية تحقق حلم اليهود في العودة إلى أرضهم الأصلية (حسب زعم المؤلف) وهو ما كان يبدو مستحيلًا".

ولعل هذا ما دفع الكيان الصهيوني إلى إعلان أنها علمانية وشريكة لمجتمع غربي علماني ومادي من أجل كسب التعاطف الغربي وحتمية وضرورة البقاء والاستقرار في منطقة شائكة ومضطربة سياسيًّا وفكريًّا وعسكريًّا وهي منطقة الشرق الأوسط.

الجاهل حقًّا من يبغض أخاه لأجل المال أو الجاه، وأجهل منه من يسعى في أذية أخيه لينال مالاً أو جاهًا، ومن عمل ذلك أضاع المال والجاه من نفسه ومن أخيه!!

وصية إلى الرجل المسلم (٥)

د. جمال أمين

بقية: وصيتي إلى أبنائي وأهلي وعشيرتي

أبنائي:

* إياكم أن يحب أحدكم نفسه فيطمع في قليل يفنى، ويحرم كثيرًا يدوم، فإن أحدكم إذا أحب نفسه وطمع في الدنيا ونافس فيها إخوته يفتح على نفسه أبواب الشر:

١- يبغض أقاربه الذين هم أولى الناس به، ومتى كره أقاربه قرب أهل الجهالة من شياطين الإنس الذين يعينون على قطيعة الأرحام، وأحبهم واستعملهم في إساءة أقاربه، فينفق ماله في غضب الله على شياطين الإنس وفي إساءة أقاربه.

٢- يبغضه عقلاء أناس؛ لأنه بمعاداته لأقاربه يعتقدون فيه الجهالة، ومخالفة السنة ومعصية الله، وييأسون منه؛ لأنه يصير عندهم لا خير فيه.

٣- يفرق الجماعة، فإن كل واحد من أقاربه له شيعة يشايعونه، وأحباب ينصرونه، فإذا أحب الرجل نفسه ابتلى بعداوات تلك الشيع المختلفة، فكثر همه وقلت راحته، واشتغل عن الله، واشتدت الخصومة عليه، فبذل ما في يده من المال في خلاص نفسه وأذية أقاربه، فكان حبه لنفسه سببًا في زوال النعمة، وفقدان اللذة، وحرمان الراحة.

فيا أبنائي، الأخ خير من مال كثير، وإيثار الأخ على المال سبب السعادة الكبرى، والخير الحقيقي؛ لأنك إذا آثرت أخاك على نفسك بالمال أو بالرياسة أو بالجاه، صيرت أخاك لك كمملوك لك مطيع، وصرت عزيزًا عظيمًا كثير المال، عظيم الجاه، منشرح الصدر، آمنًا على نفسك.

يا أبنائي:

* الجاهل حقًّا من يبغض أخاه لأجل المال أو الجاه، وأجهل منه من يسعى في أذية أخيه لينال مالًا أو جاهًا، ومن عمل ذلك أضاع المال والجاه من نفسه ومن أخيه، وأنت يا ولدي إذا كان لك أخ غني أو ذو جاه فأنت الغني ذو الجاه، فإن مال أخيك مالك، وجاه أخيك جاهك، والواجب عليك أن تسارع في زيادة مال أخيك، وتأييد جاهه فإنك شريكه في كل شيء، إلا إذا عاداك لشيطان الهوى والحظ لعمل لا تخشى عاقبته، أعوذ بالله من طمع يزيل الخير، ومن حسد يوقع في نار جهنم؟ وإني والله ليسرني أن يكون جاري الغريب في نعمة وسيادة، فإني أكون في نعمة وسيادة ما دام جاري سيدًا منعمًا عليه، فكيف بأخي أو عمي أو خالي أو ابن أخي أو أحد أقاربي أو ابني أو ابن عمي؟.

يا أبنائي:

* الله أعلم حيث يجعل نعمته، كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته، قال الله تعالى:

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧) فإذا أنعم الله على واحد منكم بنعمة وسعة في رزقه، أو سيادة في قومه، أو حكمة، أو جمع له تلك النعم، فاعتقدوا أن ذلك فضل من الله عليكم جميعًا، واجتهدوا جميعًا أن تعظموا من أنعم الله عليه أن نعتقد أنه إنما أقامه الله مقام كل أفراد العائلة يحب لصغيرهم ما يحبه لنفسه، ويحب لكبيرهم ما يحبه لنفسه، حتى يكون خادمًا لهم، شاكرًا لله على نعمته عليه، فيكون بذلك في نعمة الله ومزيد من فضله العظيم، ومزيد من حبه له سبحانه ومواجهاته سبحانه الربانية، فتكون النعم عليه معراجًا للقرب من حضرة القدس الأعلى، ويكرم الله أولاده بعده إكرامًا له، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (الكهف: ٨٢) فانظر يا بني كيف أكرم الله الأبناء إكرامًا لوالدهم، وأرسل لهما رسولًا من أولي العزم ونبيًّا أو وليًّا من كمل الأولياء، يرفعان الجدار ليحفظا الكنز للوالدين، هذا نهاية الإكرام من الله للميت في الأحياء، فاحرص يا ولدي أن تنال إكرام الله في حياتك، وإكرام الله لأولادك بعد مماتك، وإكرامًا لك.

يا ولدي:

* ورث أبناءك أخلاقك المحمدية، وعقيدتك الحقة، ومعاملتك الجميلة، وعبادتك لله الصحيحة التي تشكر بها ربك سبحانه، ورثهم الرحمة على الأرحام، والرأفة بالأيتام، والإحسان إلى الجيران، ورثهم حسن التوكل على الله، والثقة بما في يد الله، وحسن الظن بالله، ورثهم الإحسان إلى من أساء إليهم، والعفو عمن ظلمهم، والصلة لمن قطعهم.

يا ولدي:

* هذه وصيتي، التي أسألك بحقوق أبوتي عليك - أن تحافظ عليها، لتكون معي ان شاء الله تعالى يوم القيامة، إذا تفضل الله تعالى علينا بمغفرته وعفوه في دار النعيم.

يا بني، لا تغضب وأن أغضبك غيرك، فإنك إذا غضبت جهلت من أنت، فإذا جهلت من أنت عملت أعمال الشياطين، وفعلت أفعال الخاسرين الهالكين، فإذا أغضبك غيرك ولم تغضب، ودبرت بعقلك ورويتك جعلت الناس أنصارًا لك على من أغضبك، وكان الله تعالى معك؛ لأنك تخلقت بخلق من أخلاقه سبحانه؛ لأنه ﷻ حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وصبور وغفور وتواب وعفو، ومن كان الله يا بني معه، هل تعلم نفس ما تفضل به عليه سبحانه من الخير الحقيقي، وما يمنحه سبحانه من الفضل العظيم؟.

يا بني، مداراة الناس بالفكر والتدبير والضمير، لا باليد واللسان، وما ترك من الحماقة شيئًا من قال لعدوه: إني أكرهك، أو: أنت عدوي، فإنه يسلط على نفسه شيطانًا كان في حصون الحفظ منه – لولا تلك الكلمة – يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

لا تحزن قلب زوجة لك ولا خادم ولا ولد ولا دابة، إلا في مقام أدب على ذنب موجب، وفي غير ذلك انصح نصيحة رحيم عطوف حكيم.

والله تعالى يعينني وإياكم يا أبنائي على ما به ننال رضاه الأكبر من العقيدة والعبادة والعمل والحال والأخلاق، ويجعلنا من العاملين بالسنة والكتاب، والمجددين لمناهج رسول الله ﷺ، وممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والله ولي التوفيق.

اللهم لا تُنسنا ذكرك ولا تَنسنا يوم لقائك، لنحيا أحرارًا في أوطاننا، عاملين لديننا ودنيانا، فائزين بالسعادة يوم لقائك، أنك مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يا بني، مداراة الناس بالفكر والتدبير والضمير، لا باليد واللسان، وما ترك من الحماقة شيئًا من قال لعدوه: إني أكرهك، أو: أنت عدوي، فإنه يسلط على نفسه شيطانًا كان في حصون الحفظ منه.

حديث نبوي

عن السيدة عائشة ﵂: أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: (ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة ...) أو (... بئس أخو العشيرة). فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: (أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ...) أو (... وَدَعَهُ الناس اتِّقاء فُحشه).

- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما -

فتنة إسرائيلية جديدة:

الكيان الصهيوني يعترف بـ"أرض الصومال" لإشعال القرن الإفريقي!!

قال مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو: إن نتنياهو أعلن الاعتراف الرسمي بما يسمى بـ"جمهورية أرض الصومال" أو ما يُعرف بإقليم "صومالي لاند" دولة "مستقلة ذات سيادة".

وقال مكتب نتنياهو في بيان أرفق به مقطع فيديو عبر حسابه الرسمي على منصة "إكس"، تويتر سابقًا: "وقّع رئيس الوزراء نتنياهو، ووزير الخارجية (جدعون) ساعر، ورئيس جمهورية أرض الصومال إعلانًا مشتركًا بالاعتراف المتبادل".

وأضاف في منشور آخر: "يأتي هذا الإعلان متماشيًا مع روح اتفاقيات إبراهيم، التي تم توقيعها بمبادرة من الرئيس ترامب".

وبذلك، أصبح الكيان الصهيوني، أول دولة تعترف رسميًّا بجمهورية أرض الصومال المعلنة من جانب واحد كدولة مستقلة ذات سيادة، وهو قرار قد يُعيد تشكيل الديناميكيات الإقليمية ويختبر معارضة الصومال الراسخة لانفصالها.

ومن جانبها، قالت وزارة الخارجية المصرية في بيان عبر "فيسبوك": إن وزير الخارجية المصري بدر عبدالعاطي تلقى اتصالات هاتفية من كل من: عبد السلام عبدي علي وزير خارجية جمهورية الصومال، وهاكان فيدان وزير خارجية تركيا، وعبد القادر حسين عمر وزير خارجية جمهورية جيبوتي، حيث تناولت الاتصالات تطورات الأوضاع الأخيرة التي وصفها البيان بـ"الخطيرة" في منطقة القرن الإفريقي.

وأضافت الخارجية المصرية: "تناولت الاتصالات التطورات المرتبطة باعتراف إسرائيل بإقليم (صومالي لاند)"، حيث أكد الوزراء على "الرفض التام وإدانة اعتراف إسرائيل باقليم أرض الصومال".

وشدد الوزراء خلال الاتصالات "على الدعم الكامل لوحدة وسيادة وسلامة الأراضي الصومالية، والرفض الكامل لأي إجراءات أحادية من شأنها المساس بالسيادة الصومالية أو تقويض أسس الاستقرار في البلاد، وشددوا على دعم مؤسسات الدولة الصومالية الشرعية، ورفض أي محاولات لفرض كيانات موازية تتعارض مع وحدة الدولة الصومالية"، بحسب بيان الخارجية المصرية.

وكانت لجنة الانتخابات في إدارة إقليم "أرض الصومال" أعلنت في نوفمبر الماضي، عن فوز عبدالرحمن محمد عبدالله الشهير باسم "عرو" في الانتخابات الرئاسية بالإقليم بعد بحصوله على ٦٣,٩٢٪ من أصوات الناخبين. وأصبح عبدالرحمن الرئيس السادس لإدارة إقليم "أرض الصومال" في المحافظات الشمالية للبلاد، بحسب ما أوردت وكالة الأنباء الصومالية الرسمية.

كما انتقد المتحدث باسم وزارة الخارجية التركية أونجو كتشالي، إعلان إسرائيل اعترافها باستقلال إقليم أرض الصومال.

وقال المتحدث في بيان نشرته وكالة "الأناضول" التركية للأنباء: إن "إعلان إسرائيل اعترافها باستقلال إقليم أرض الصومال يُعد مثالًا جديدًا على الأعمال غير القانونية التي تنتهجها حكومة نتنياهو والهادفة إلى خلق حالة من عدم الاستقرار".

وأضاف البيان: "هذه الخطوة من قبل إسرائيل، التي تواصل سياساتها التوسعية وتبذل كل جهد ممكن لمنع الاعتراف بدولة فلسطين، تمثل تدخلًا واضحًا في الشؤون الداخلية للصومال، وتركيا تولي أهمية للسلام والأمن في منطقة القرن الإفريقي وتدعم بحزم وحدة أراضي الصومال، وستواصل الوقوف إلى جانب الشعب الصومالي".

حزب الله يرفض نزع سلاحه.. ويحذر: بداية تفتيت لبنان

قال الأمين العام لحزب الله اللبناني نعيم قاسم: إن مساعي نزع سلاح المقاومة هو مشروع أمريكي إسرائيلي، داعيًا الدولة اللبنانية إلى تأجيل تنفيذه ما دام العدوان الإسرائيلي مستمرًّا على لبنان.

وفي كلمة ألقاها، في الذكرى السنوية لرحيل القائد المؤسس في حزب الله، محمد حسن ياغي، يوم ٢٨ ديسمبر، قال قاسم: إن طرح نزع السلاح وحصره بيد الدولة، هو "مشروع أمريكي–إسرائيلي" يجري الدفع به وفق "التوقيت الأمريكي"، بهدف "إنهاء المقاومة، وضمّ جزء من لبنان، وتحويل ما تبقى إلى أداة بيد واشنطن وتل أبيب"، وفق وكالة سند.

وشدد قاسم على أن طرح ملف نزع السلاح في ظل العدوان الإسرائيلي المتواصل، يعني العمل لمصلحة "إسرائيل"، معتبرًا أن الدعوة إلى نزع السلاح في هذه المرحلة "غير منطقية"، وداعيًا إلى تأجيلها طالما تستمر الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية.

وأكد أن نزع السلاح جزء من مشروع لإثارة الفتنة بين المقاومة والناس، وإبقاء الاحتلال في النقاط الخمس التي تواصل احتلالها، وتمكين إسرائيل من القتل من دون محاسبة، إلى جانب استهداف القدرة العسكرية للبنان وضرب فئة وازنة وزرع الخلاف مع حركة "أمل".

ولفت إلى أن لبنان يعيش اليوم في قلب العاصفة وعدم الاستقرار، محمّلًا الولايات المتحدة وإسرائيل المسئولية الرئيسية عن الأزمات التي تمر بها البلاد.

وأشار إلى أن الحكومة اللبنانية قدّمت تنازلات مجانية من دون أن ينفّذ الاحتلال أيًّا من التزاماته، وأن الدولة لا تقوم بأي مواجهة أو محاولة للتصدي لانتهاكات الاحتلال المتنوعة.

وقال: إن انتشار الجيش اللبناني جنوب نهر الليطاني كان مطلوبًا في حال التزام إسرائيل ببنود اتفاق وقف إطلاق النار، مضيفًا: "اليوم لم يعد مطلوبًا من لبنان أي إجراء من دون أن يلتزم الإسرائيلي بما عليه".

واعتبر أن أي تنازل إضافي من دون التزام إسرائيلي، هو "تنازل غير مسؤول"، محذرًا من أن لبنان أمام "مفصل تاريخي" وخيارين: "الوصاية وبداية تفتيت البلد" عبر تلبية ما تريده واشنطن وتل أبيب، أو "نهضة لبنان واستعادة سيادته بطرد الاحتلال".

مصر: تحذر من محاولات تقسيم ليبيا، وتؤكد على متانة العلاقات المصرية السعودية

أكد الدكتور بدر عبد العاطي وزير الخارجية والهجرة، أن تقسيم ليبيا من الخطوط الحمراء لدى مصر ولا يمكن أن تقبل به.

وقال الوزير عبد العاطي: إن العلاقة بين مصر والمملكة العربية السعودية «أبدية ومتينة» ولا يمكن أن تتزعزع على الإطلاق، مستنكرًا الأكاذيب المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعي في هذا الصدد.

وأوضح وزير الخارجية، أن بعض الأطراف غير المسئولة تقوم بإثارة المشكلات على مواقع التواصل، بما يؤدي إلى تصعيد غير مبرر ومبالغ فيه من بعض الأطراف غير الواعية.

وأكد الدكتور بدر عبد العاطي، قائلًا: "لدينا تعليمات مباشرة من الرئيس عبدالفتاح السيسي، وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، بالعمل على الحفاظ وتحصين وتقوية تلك العلاقات؛ لأنها تخدم مصالح البلدين والشعبين الشقيقين، ومصالح الأمتين العربية والإسلامية".

جهود متسارعة لمحاولة فصل جنوب اليمن كدولة مستقلة!!

رفض المجلس الانتقالي الجنوبي في اليمن دعوات جديدة إلى سحب قواته من محافظتي حضرموت والمهرة (شرق اليمن)، وأعلن إعلانًا دستوريًا تمهيدًا لـ"إعلان الدولة" في الجنوب.

جاء ذلك على لسان رئيس الجمعية الوطنية للمجلس علي الكثيري، خلال لقائه في مدينة سيئون (في حضرموت) وجهاء وأعيان مديرية رخية، يوم ٢٧ ديسمبر الماضي، وقال الكثيري: إن "الجنوب يقترب من لحظة حاسمة تتمثل في إعلان الدولة، وهذا الأمل أصبح شبه مكتمل."

ويردد المجلس الانتقالي أن الحكومات المتعاقبة همشت المناطق الجنوبية سياسيًّا واقتصاديًّا، ويدعو إلى انفصالها عن الشمال، وهو ما تنفيه السلطات وتتسمك بوحدة البلاد.

وفي ٢٢ مايو ١٩٩٠م، توحدت الجمهورية العربية اليمنية (شمال) مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (جنوب) لتشكيل الجمهورية اليمنية.

وشدد الكثيري على "أهمية توحيد الصف ونبذ الخلافات، لا سيما في مديريات وادي حضرموت"، ودعا إلى "تحصين الجبهة الداخلية من أي فوضى أو انقسامات للحفاظ على الانتصارات المحققة"، في إشارة إلى رفض الانسحاب من حضرموت.

وتحدث عما اعتبرها "نجاحات تحققت خلال الأيام الماضية في تعزيز الأمن الداخلي، ومنع حمل السلاح وإطلاق النار، وإشراك المواطنين في حماية مناطقهم."

ومنذ أوائل ديسمبر الماضي، تسيطر قوات المجلس على حضرموت والمهرة، اللتين تشكلان نحو نصف مساحة اليمن (نحو ٥٥٥ ألف كيلومتر مربع).

ومشيرًا إلى الدعوات اليمنية والإقليمية إلى انسحاب قوات المجلس، ادعى أن "المجلس الانتقالي لم يعتد على أحد في الداخل أو الخارج، وشعب الجنوب يدافع عن أرضه التي حررها."

وزاد بأن "محاولات شيطنة الانتقالي لم تعد تنطلي على أحد، وأبناء حضرموت هم مَن طالبوا بدعم القوات المسلحة الجنوبية لتحرير وادي وصحراء حضرموت"، على حد قوله.

الكثيري تحدث عن "الحرص على العلاقات مع الأشقاء في دول التحالف العربي (لدعم الشرعية في اليمن)، وفي مقدمتها السعودية والإمارات."

وأعرب في الوقت نفسه عن رفضه "أي محاولات لكسر إرادة شعب الجنوب من قبل أطراف لم تتمكن من تحرير مناطقها، وتسعى لتصفية قضية شعب الجنوب"، في إشارة إلى الحكومة الشرعية التي تحارب جماعة الحوثي.

ومن جانبه أعلن المجلس الانتقالي الجنوبي مطلع العام إعلانًا دستوريًا يمهد لإجراء استفتاء على انفصال جنوب اليمن، بعد ساعات من قصف القوات السعودية لقافلة أسلحة إماراتية متجهة للمجلس، وأعقب ذلك دعوة السعودية لإجراء حوار بين أبناء الجنوب اليمني.

البخل عار والجبن منقصة

قال أمير المؤمنين الإمام المجدد الأول السيد علىّ ابن أبي طالب عليه السلام: (أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ، وَالْبُخْلُ عَارٌ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَالفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَى، وَالْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، وَالأَدَبُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَصَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالاحْتِمالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ).

ليست لبخيل راحة

قال الإمام المجدد الثاني السيد جعفر الصادق عليه السلام: (خمس هنّ كما أقول: ليست لبخيل راحة، ولا لحسود لذّة، ولا لملول وفاء، ولا لكذّاب مروّة، ولا يسود سفيه).

البخل آذم الأخلاق

قال الإمام المجدد الثالث السيد علي الهادي عليه السلام: (الْحَسَدُ مَاحِقُ الْحَسَنَاتِ، وَالزَّهْوُ جَالِبُ الْمَقْتِ، وَالْعُجْبُ صَارِفٌ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ داع إِلَى الْغَمْطِ وَالْجَهْلِ، وَالبُخْلُ أَذَمُّ الأَخْلاقِ، وَالطَّمَعُ سَجِيةٌ سَيِئَةٌ).

البخل يمنع الولاية

قال الإمام المجدد الخامس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: (ثلاث خصال من كن فيه لا يكون وليًّا إلا إذا طهره الله منهن: الحمق، والعجب، والبخل).

قوة المبتدي

قال الإمام المجدد السادس السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: (قوة المبتدي الجوع، ومطره الدموع، وفطره الرجوع، وأما من أكل ونام ولغا في الكلام، وترخص وقال: ما على فاعل ذلك من ملام؛ فلا يجيء منه شيء والسلام).

نتائج البخل

قال خاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضوان الله عليه: (البُخْلُ سَبَبُ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، وَقَطِيعَةِ الأَرْحَامِ، وَسَبَبُ هَلَاكِ النُّفُوسِ بِالأَسْقَامِ).

حكم الدين

من فتاوى
الإمام المجدد
السيد محمد ماضى أبوالعزائم

إحياء ليلة النصف من شعبان من نوافل البر

ⓞ سماحة مولانا الإمام المجدد حجة الإسلام والمسلمين فى هذا الزمان السيد محمد ماضى أبو العزائم - قدس الله سِرَّكُمْ، ونفعنا الله بكم، وجعلكم وليًّا مرشدًا لطلاب العلم النافع – مع هلال شهر شعبان ينكر البعض إحياء ليلة نصفه، والاجتماع وقت صلاة المغرب وقراءة يس والأدعية، وصيام يوم نصف شعبان، وزيارة القبور فى صبيحة ليلة النصف من شعبان، فنرجو من سماحتكم أن تكشف لنا عن أحكام هذه الأمور؛ حتى ننتفع بهذا الخير الكثير..

فأجاب سماحته قائلاً:

يا بنى: أجمع المسلمون جميعًا أن الله خصَّ بفضله أفرادًا من عباده الصالحين، وأمكنةً خاصةً وأزمنةً خاصةً، فجعل فى الأسبوع يومًا وهو يوم الجمعة، وفى السنة شهرًا للصيام وأربعة أشهر حرم، وخص ليلة الإسراء بحبيبه، فلا حرج على فضله أن يخص ليلة النصف من شعبان فى كل عام بفضيلة استجابة الدعاء وقبول التوبة ممن يتوب والعفو عن كثير من المذنبين، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. لا يمنع هذا الفضل العظيم إنكار من أنكر فقد ذكر فضلها الإمام أبو طالب المكى - وهو من أئمة السلف الصالح الصادقين فى الفضل والرواية فى كتابه (قوت القلوب) - أن ليلة النصف من شعبان كان يعتنى بها أصحاب رسول الله ﷺ ويجتمعون لصلاة النوافل جماعة، إحياءً لها والتماسًا لخيرها؛ فقد ورد أنَّ فيها ترفع الأعمال وتقدر الأرزاق والآجال، وقد ورد فيها الدعاء المأثور الذى يلتمس فيه الداعى خفيَّ اللطف فى قدر الله، ولله تعالى فيها نظرات إلى خلقه: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، كما أورد الإمام أبو طالب المكى أن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يحيون ليلة النصف من شعبان. وكانوا يصلون فيها مائة ركعة يأملون فيها الخير[١].

وقد ورد فى إحيائها أحاديث، وإن كان سندها لم يبلغ درجة الصحاح فيكون على شرط البخارى أو مسلم إلا أنها فى فضائل الأعمال والأخذ بها حسن. والأحاديث الواردة فى الفضائل الأُوْلَى للمسلم أن يُسَلِّمَ بها من غير تدقيق فى سندها؛ لأنها ليست أحكامًا شرعية، ولأن أحاديث الفضائل كان يخص بها رسول الله ﷺ أفرادًا من أهل الصُّفَّةِ الذين أقبلوا على الله بالكُلِّيَّةِ، وهم الذين أمر الله حبيبه ﷺ أن يُصَبِّرَ نفسَه معهم.

وإنكار من أنكر على أحاديث الفضائل؛ لأنها لم تثبت عنده بسند يقبله هو بحسب مرتبته، كسند الإمام البخارى ومسلم (رضى الله عنهما)، وهذان الإمامان جمعا ما يتعلق بالأحكام التى يجب أن يلزم بها كل مسلمٍ وينفِّذُها الخليفة وعُمَّالُه، وأمَّا الأحاديث المتعلقة بتزكية النفس وطهارة القلوب ومعاملة علاَّم الغيوب وعلوم الإيمان والإيقان والإحسان: فحملها رجالٌ فرُّوا من الكونَيْنِ إلى الله تعالى ولزموا الصفة إيثارًا للعلم والعمل لله على غيرهما، أو حفظًا لأنفاس رسول الله

ﷺ فى الليل والنهار.

الأحاديث الواردة في فضائل هذه الليلة

والأَوْلَى أنْ نُحْيِىَ تلك الليلة، وأنْ نحسنَ الظنَّ بحملة الحديث ورواته، ونطمعَ أنْ ننالَ الخَيْرَ الذى ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ بَنِى كَلْبٍ)(٢). وقال ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ إِلاَّ الْكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَمُدْمِنِ الْخَمْرِ وَعَاقٍّ وَالِدَيْهِ وَالْمُصِرِّ عَلَى الزِّنَا)(٣) وقال ﷺ: (مَنْ صَلَّى فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَائَةَ رَكْعَةٍ أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَائَةَ مَلَكٍ، ثَلاَثِينَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ، وَثَلاَثِينَ يُؤَمِّنُونَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَثَلاَثِينَ يَدْفَعُونَ عَنْهُ آفَاتِ الدُّنْيَا، وَعَشْرَةً يَدْفَعُونَ عَنْهُ مَكَائِدَ الشَّيْطَانِ)(٤).

روى ابن ماجة عن علىّ بن أبى طالب (كرَّم الله وجهه) عن النبى ﷺ أنه قال: (إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلاَ مِنْ مُسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلاَ مِنْ مُقْبِلٍ فَأُعَافِيَهُ؟ أَلاَ مِنْ كَذَا، أَلاَ مِنْ كَذَا؛ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَأَطَالَ السُّجُودَ؛ حَتَّى ظَنَنْتُهُ قَدْ قُبِضَ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ؛ حَتَّى حَرَّكْتُ إِصْبَعَهُ فَتَحَرَّكَ، فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِى سُجُودِهِ: أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ. فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَفَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ أَوْ يَا حُمَيْرَاءَ، أَظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَدْ خَاسَ بِكِ؟) قُلْتُ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنَّنِى ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ. فَقَالَ: أَتَدْرِينَ أَىُّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟ قَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللهَ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ)(٦).

كما رُوِىَ عن ابن ماجة فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَطَّلِعُ فِى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ؛ إِلاَّ مُشْرِكٌ وَمُشَاحِنٌ)(٧).

وآل العزائم يحيون تلك الليلة اقتداءً بعمل السَّلف الصالح بإجماع الأمة فى مشارق الأرض ومغاربها على إحيائها، ولم يشذ منهم إلا أهل الإنكار الذين تثقل عليهم الأعمال الفاضلة.

حكم الاجتماع وقت صلاة المغرب وقراءة ﴿يس﴾ والأدعية

أما اجتماع الناس فى ليلة النصف من شعبان فى المساجد وقت صلاة المغرب، وما يقومون به من الصلاة وقراءة (يس) والأدعية، فبدعة محدثة لا بأس بها؛ لأنَّ الدعاء سنَّة، والاجتماع للصلاة والدُّعاء مشروعٌ عند المقتضيات كالاستسقاء والخسوف والكسوف. فإذا اعتقد الناس أنَّ الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان كما بيَّن ذلك بعض المفسرين، فالاجتماع حسنٌ مرغوبٌ فيه. وعلى قول من يقول: إنَّ الليلة هى ليلة القَدْرِ، فالاجتماع فى هذه الليلة يكون لذكر الله.

حكم صيام يوم نصف شعبان

وصيام يوم النصف من شعبان لغير معتاده، إن قُصِدَ به التقرب إلى الله تعالى، أو التَّشبُّه ببعض الصالحين، فهو مباحٌ، وإن نوى به السنَّة فهو مكروه. اللهم إلا إذا ثبت بطريق صحيح أنَّ رسول الله ﷺ صامه. وللمسلم الخيار فى صيام أى يوم إلا يوم الشك ويوم العيدين.

حكم زيارة القبور فى صبيحة ليلة النصف من شعبان

أما زيارة القبور فى صبيحة ليلة النصف من شعبان، فلا أعلمُه من السُّنَّة، إلا أنَّ الذى أعلمُه أنَّ رسول الله ﷺ كان يزور بقيع الغرقد حيث قبور الصحابة ليلاً منفردًا، ونهارًا فى بعض أصحابه، و كان يقف ويسلِّم ويدعو لهم. فزيارة القبور فى صبيحة نصف شعبان بعينها بدعة حسنة، وكونهم يخرجون مجتمعين سنَّة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ فعَلَهُ، ورفْعُ الأصوات عند التوجه لزيارة القبور بدعة لا أعلمُ أنَّها حسنة.

ما أسْتَحْسِنُهُ للمسلمين

من هذا أسْتَحْسِنُ للمسلمين عامةً ولإخواننا آل العزائم فى كل أنحاء البلاد، أن يجعلوا لليلة النصف من شعبان قسطًا وافرًا من الإقبال على الله والمسارعة لإحيائها، فيصومون نهارها ويقومون ليلها اقتداءً بهدى السلف الصالح، ويكثرون فيها التَّبتُّلَ والتَّضَرُّعَ والقُنُوتَ لله تعالى.

وعندى أنَّ من الخير فى هذه الليلة صلة الرحم وبِرُّ الوالدين، والإحسان إلى الجيران، والعفو عمن آذى، وطلب العفو من المظلوم، والتقرب إلى الله ببذل فضل المال إلى الفقراء؛ حتى يكون تَقَرَّبَ إلى الله بماله ونفسه، وبَذَلَ فى سبيل الله ما يبخل به غيره. وبذلك أُبَشِّرُهُ بأنه صار ممن يحبهم الله تعالى بدليل قوله ﷺ: (وَلاَ يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ.....).

---

(١) انظر: قوت القلوب لأبى طالب المكى ٨٦/١.

(٢) جاء فى تفسير الخازن ٣٨٨/٥، وفى عمدة القارى شرح صحيح البخارى ٤٩/١٧، والترمذى فى سننه ١١٧/٣ حديث ٧٣٩، وابن ماجة فى سننه ٤٤٥/١ حديث ١٣٨٩، وابن راهويه فى مسنده٣٢٦/٢ حديث ٨٥٠، ٩٨٠/٣ حديث ١٧٠٠، ومسند عبد بن حميد ٤٣٧/١ حديث ١٥٠٩، ومسند أحمد ٢٣٨/٦ حديث ٢٦٠٦٠، وكنز العمال ٣١٥/١٢ حديث ٣٥١٨١، ٣١٤/١٢ حديث ٣٥١٧٩.

(٣) جاء فى تفسير السراج المنير للخطيب ٤٠٣٧/١ تفسير سورة الدخان.

(٤) جاء فى مفاتيح الغيب (تفسير الرازى) ٢/١٤، وتفسير النيسابورى ٤٩٠/٦، وفى الكشاف للزمخشرى ٢٥٦/٦، وفى تفسير حقى ٢٤٤/١٣، وتفسير السراج المنير للخطيب ٤٠٣٧/١، وفى تخريج الأحاديث والآثار الواقعة فى تفسير الكشاف ٢٦١/٣.

(٥) جاء فى المسند الجامع ٣٩١/٣٠، وفى الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة ٨١/١، وفى إحياء علوم الدين ٣٩٤/١، وفى سنن ابن ماجة ٤٤٤/١ حديث ١٣٨٨.

(٦) جاء فى الدر المنثور للسيوطى ٤٠٣/٧، وفى شعب الإيمان للبيهقى ٣٨٢/٣ حديث ٣٨٣٥، وفى الترغيب والترهيب للمنذرى ٧٤/٢ ١٥٤٩، ٣٠٩/٣ حديث ٤١٩٦.

(٧) جاء فى كنز العمال ٤٦٦/٣ حديث ٧٤٦١، ٧٤٦٢، ٤٦٧/٣ حديث ٧٤٦٣، ٧٤٦٤، ٧٤٦٥، ٣١٣/١٢ حديث ٣٥١٧٤، ٣٥١٧٥، ٣١٥/١٢ حديث ٣٥١٨٢، ٣٥١٨٤، وفى المسند الجامع ١٦٩/٢٧ حديث ٨٨٦٩، وفى تحفة الأشراف ٢٢٢/٨ حديث ٩٠٠٦، وفى مجمع الزوائد للهيثمى ١٢٥/٨ حديث ١٢٩٥٧، ١٢٦/٨ حديث ١٢٩٥٨، ١٢٩٥٩، ١٢٨٦٠، ١٢٨٦١، وفى تخريج الأحاديث الواقعة فى تفسير الكشاف للزمخشرى ٢٦٥/٣، وجاء أيضًا فى سنن ابن ماجة ٤٤٥/١ حديث ١٣٩٠، ومسند إسحق ابن راهويه ٩٨١/٣ حديث ١٧٠٢، ومصنف ابن أبى شيبة ٣١٦/٤ حديث ٧٩٢٣، ١٠٨/٦ حديث ٢٩٨٥٩، وفى مسند الحارث (زوائد الهيثمى) ٤٢٣/١ حديث ٣٣٨، ومصنف عبد الرزاق ٣١٦/٤ حديث ٧٩٢٣، ومسند الشاميين ١٢٨/١ حديث ٢٠٣، ١٣٠/١ حديث ٢٠٥، ٣٦٥/٤ حديث ٣٥٧٠، وصحيح ابن حبان ٤٨١/١٢ حديث ٥٦٦٥، وابن حنبل فى مسنده ١٧٦/٢ حديث ٦٦٤٢، والطبرانى فى معجمه الأوسط ٣٦/٧ حديث ٦٧٧٦، والطبرانى فى معجمه الكبير ٢٢٣/٢٢ حديث ٥٩٠، ٢٢٤/٢٢ حديث ٥٩٣، ١٠٩/٢٠ حديث ٢١٥.

براعم الإيمان من فيض الحنان (٤٥)

بقية: جوانب التربية في الإسلام

بقية: أولاً: التربية الإيمانية:

بقية: كيف نزرع محبة سيد الخلق ﷺ في أبنائنا؟.

الحياة الإيمانية:

بعد أن تحدثنا عن الجانب العلمي في غرس العقيدة في محبة سيدنا المصطفى في قلوب أبنائنا عملًا بحديث سيدنا المصطفى ﷺ: [أدبوا أولادكم على ثلاث خصال.....] وذكر ﷺ في بداية الحديث: [حب نبيكم].

ورضي الله تبارك وتعالى عن حضرة مولانا الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم القائل:

أبشروا بالخير وافى
بالنبي أتى ختام
من ألست على اشتياق
قبلها صح الهيام
فوق عالين مقامًا
سيد الرسل الكرام
نوره في البدء أجلى
للنفوس ضيا السلام

نستكمل بفضل الله تعالى الحديث عن حمل ومولد سيد الخلق ﷺ على قدرنا إذ إنه لا يعرف قدر سيدنا المصطفى ﷺ غير ربه، وذلك على صيغه سؤال وجواب لتوضيح المعنى.

س- هل كان حمل السيدة آمنة بسيد الخلق ﷺ حملًا عاديًّا كبقية حمل النساء؟.

ج) تقول السيدة آمنة رضوان الله عليها: لم أجد ثقلًا ولا وحمًا كما تجد النساء.

س) هل وجدت السيدة آمنة بنت وهب بُشريات أثناء حمله ﷺ؟

ج) نعم، قالت: آتاني آتٍ وأنا بين النائمة واليقظة، فقال لي: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام؟! قالت: ثم أمهلني حتى دنت ولادتي فأتاني ثانيًا وقال لي: أُعيذيه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمدًا.

المحاسب مصطفى فهيم
مدير إدارة الإعفاءات الشخصية بالجمارك المصرية سابقًا

س) هل شعرت السيدة آمنة بنت وهب بالبشائر والرؤيا المنامية قرب ميلاد سيد الخلق ﷺ؟

ج) نعم، قالت السيدة آمنه بأنها رأت علمًا عمَّ الخافقين ضياؤه، وأدهش عقلها بهاؤه، ورأت طيورًا سدت الآفاق، ترفرف بأجنحتها مسبحة للخلاق، ورأت نِسوة أحطن بها من كل جانب، وقلن لها: نحن آسية ومريم ابنة عمران، ومعنا الحور العين، جئنا بالتحية والإكرام.

س) ما هي الأحداث التي حدثت عند ميلاد سيد الخلق ﷺ والتي رأتها وسمعتها السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام؟

ج)

١- قالت السيدة آمنة رضوان الله عليها: سمعت وجبة عظيمة، (وهو صوت كصوت المدافع) احتفالًا بقدوم سيد الخلق ﷺ.

٢- ورأت السيدة آمنة طائرًا أبيض مسح على فؤادها، فحدث لها طمأنينة وراحة.

٣- وأنها تناولت شربة بيضاء فلما شربتها أصابها نور عال..

٤- ورأت رضوان الله عليها حضور بعض النساء رغم أن السيدة آمنة وحيدة في بيتها؛ وذلك حتى يحدث لها أنس.

٥- ورأت رضوان الله عليها حريرًا أبيض سد ما بين السماء والأرض.

٦- وسمعت رضوان الله عليها قائلًا يقول: خُذاه عن أعين الناس.

٧- ورأت رضوان الله عليها رجالًا وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة.

٨- وقالت رضوان الله عليها عند ميلاد سيد الخلق: رأيت مجموعة من الطيور غطت الحجرة التي ولد فيها سيد الخلق ﷺ، هذه الطيور ألوانها عجيبة؛ المناقير من الزمرد (وهو الأخضر المزرق)، وأجنحتها من الياقوت (وهو الأحمر الفاتح)، وهذا هو ستر الستَّار لحبيبه ومصطفاه ﷺ. ثم قالت السيدة آمنة: كشف الله عن بصري فرأيت ما لا يراه غيري. ورأت مشارق الأرض ومغاربها، ورأت ثلاثة أعلام

مضروبات؛ علمًا بالمشرق، وعلمًا بالمغرب، وعلمًا على ظهر الكعبه. فأخذني المخاض، فوضعت محمدًا ﷺ.

ورضي الله عن الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم القائل:

مرحبًا بالحبيب خير الأنام
من أتانا بالنور والإسلام
مرحبًا سيدي أهلًا وسهلًا
أنت نور الرحمن والعلَّام
مرحبًا بالحبيب أقبلت بشرى
بالمعاني ونيل دار السلام

س) متى وأين حدثت الأحداث التي رأتها السيدة آمنة؟

ج) الأحداث التي حدثت عند ميلاد سيدنا المصطفى ﷺ والتي ذكرت في إجابة السؤال السابق - حدثت في شِعب أبي طالب، وهو بيت معلوم الآن، ومكتوب عليه عنوان باسم (المكتبة)، وهو موجود إلى الآن لمن أعطى ظهره لباب الصفا مع الميل يسارًا قليلًا يجد هذا المبنى الذي شرف بالبشريات والأحداث، التي رأتها السيدة آمنة رضوان الله عليها، وذلك يوم عشرون من إبريل سنة ٥٧١م فجر ليلة ١٢ ربيع أول.

س) كيف كان حال سيد الخلق عند ميلاده ﷺ؟

ج) تقول السيدة آمنة رضوان الله عليها: ولد ﷺ ساجدًا مدهونًا - مختونًا - مكحولًا يشير بأصبعه إلى السماء؛ إشارة إلى أنه سما قدرًا. ثم قالت السيدة آمنة بعد ميلاده ساجدًا لله سبحانه: رأيت سحابة بيضاء أقبلت حتى غشيته فغيبته عني ﷺ، وسمعت مناديًا ينادي: طوفوا به ﷺ مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلموا أنه اسمه الماحي ولا يبقى شيء من الشر إلا محي في زمنه، ثم انجلت عنه في أسرع وقت.

تقول السيدة آمنة: ثم نظرت إليه ﷺ فإذا به كالقمر ليلة بدر، وريحه يسطع كالمسك الأذفر.

س) ما هى العطايا التي نالها سيد الخلق عند ميلاده ﷺ؟

ج) تقول السيدة آمنة رضوان الله عليها: رأيت سحابة عظيمة لها نور، أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال؛ حتى غشيته وغُيِّب عني، فسمعت مناديًا ينادي ويقول: "طوفوا بمحمد ﷺ جميع الأرض واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش، واعطوه خُلق آدم، ومعرفه شيث، وشجاعة نوح، وخُلَّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، واغمسوه في أخلاق النبيين.

قالت: ثم انجلت عني فإذا به ﷺ قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيًّا شديدًا ينبع من تلك الحريرة ماء، وإذا بقائل يقول: بخٍ بخٍ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها، لم يبقَ خلق من أهلها إلا دخل طائعًا في قبضته.

س) هل حدثت أحداث عالمية عند ميلاد سيدنا المصطفى ﷺ؟

ج) نعم

١- كشف الله عن بصر السيدة آمنة رضوان الله عليها فرأت مشارق الأرض ومغاربها.

٢- سقوط أربع عشر شرفة من قصر كسرى.

٣- انطفاء النار التي يعبدها المجوس.

٤- فاضت بحيرة طبرية.

٥- غاضت بحيرة ساوى.

٦- خرت الأصنام خاسئة.

٧- الجن قد دحروا بالرجم واندحروا ولم يسترقوا الأخبار من السماء.

٨- بشرت به الحيوانات في القفار بعبارات عربية.

٩- انتشرت الأفراح في الجنات، وعمت في الملكوت المسرات، وهطلت السماء بغيث الإغاثة؛ رحمة من الله بمن أضرهم الجدب، وحدثت البركة في الزرع؛ حتى كثر الخير.

* يقول حضرة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه:

أبرزت شمسًا تضيء الكون أجمعه
حتى رأت أمه من نوره بصرى
خرت على رأسها الأصنام خاسئة
بل أخمدت نار أضلال لدى كسرى
والجن قد دحروا بالرجم واندحروا
لم يسمعوا أبدًا شعرًا ولا نثرا
فاضت بحيرة طبريا بمولده
غاضت بحيرة ساوى الماء ثم جرى

جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية

(٦)

الأستاذ الدكتور

نور الدين أبو لحية

الجمهورية الجزائرية

كما اهتمت الجمعية بالتشدد مع ما تراه من البدع، اهتمت كذلك ببيان ما تستند إليه من مصادر وأدلة على ذلك، وهي لا تعدو الأدلة التي ذكرها الشاطبي في الاعتصام، فهو الكتاب الذي نال عندها أهمية قصوى، بل نرى البشير الإبراهيمي ينتصر لهذا الكتاب، ويعتبره أكمل كتاب في تحرير معنى البدعة والسنة.

بقية: الفصل الأول:

جوانب الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية حول مفهوم البدعة وضوابطها

بقية: المبحث الثاني:

موقف الجمعية من البدعة وأدلتها

المطلب الثاني: أدلة الجمعية على موقفها من البدعة:

كما اهتمت الجمعية بالتشدد مع ما تراه من البدع، اهتمت كذلك ببيان ما تستند إليه من مصادر وأدلة على ذلك، وهي لا تعدو الأدلة التي ذكرها الشاطبي في الاعتصام، فهو الكتاب الذي نال عندها أهمية قصوى، بل نرى البشير الإبراهيمي ينتصر لهذا الكتاب، ويعتبره أكمل كتاب في تحرير معنى البدعة والسنة، ففي رسالة خطية بعث بها الإبراهيمي - وهو بمنفاه بـ (آفْلُو) - إلى تلميذه الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي... وفي طياتها يجيبه طلبه؛ حيث سأله أن يذكر له جملة من الكتب الأصول، قال الإبراهيمي بعدما ذكر مجموعة من كتب الأدب واللغة، وكتب السيرة وغيرها: (كتاب الاعتصام للشاطبي. وهو أكمل كتاب في تحرير معنى البدعة والسنة).

ونرى كذلك الشيخ زموشي يقوم بتلخيص أهم مباحث كتاب (الاعتصام)، بأسلوب سهل مبسط، وينشره في (الشهاب) تحت عنوان: (بحثٌ في البدعة)[1].

وقد بدأ بحثه بذكر تقسيم العز بن عبد السلام للبدع، وتفاصيل ذلك، ثم رد الشاطبي عليه، وهو يدل على أن الجمعية مطلعة تمامًا على ما ذكره العز، وأنها اختارت عن قناعة مذهب الشاطبي.

بعد هذا، ومن خلال ما ذكرناه من مصادر نستطيع تصنيف أدلة الجمعية على هذا الموقف إلى الأدلة التالي:

النصوص الدالة على كمال الدين:

وعلى رأس هذه النصوص قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالآية الكريمة – كما هو واضح - تدل على تمامِ الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق.

وقد استدل بالآية الشيخ عبد الحميد بن باديس على ذم البدع مطلقًا، فقد قال في معرض رده على الشيخ ابن عاشور: (إن من ابتدع مثل هذه البدعة التي هي تقرب

فيما لم يكن قربة كأنه يرى أن طاعة لله بقيت تنقص هذه الشريعة فهو يستدركها وأن محمدًا ﷺ خفيت عليه قربة هو اهتدى إليها أو لم تخف عليه ولكنه كتمها. وهذه كلها مهلكات لصاحبيها فلا يكون ما أوقعه فيها من ابتداع تلك التي يحسبها قربة إلا محرمًا. وقد قال مالك فيما سمعه من ابن الماجشون: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا)[٢].

كما استدل بالآية كل من ذهب إلى ذم البدع بجميع أنواعها، يقول الشوكاني في (القول المفيد) في معرض مناقشته لبعض من يتصورهم مبتدعة: (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم وهذا فيه رد للقرآن! وإن لم يكن من الدين؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟! وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم وتدحض به حججهم)[٣].

ويقول الشاطبي: (إن المستحسِن للبدعِ يلزمه عادة أن يكون الشرع عنده لم يكمل بعد، فلا يكون لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] معنى يعتبر به عندهم)[٤].

وقد أجاب على هذا الاستدلال الشيخ ابن عليوة بتفصيل في رسالة كتب بها لبعض المخالفين، وهي رسالة مهمة جدًّا ترقى إلى مستوى المناقشات العلمية الهادفة المحترمة، ونحاول هنا باختصار عرض هذه الرسالة، ووجوه الاستدلال فيها.

قال مالك فيما سمعه من ابن الماجشون: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا).

بدأ الشيخ ابن عليوة مخاطبة المخالف له وللصوفية من غير أن يحدد من هو المخالف، بقوله: (أراني ملزمًا يا حضرة الأخ بذكر أمر طالما تردّد ذكره في مكاتباتكم، كمكاتبات غيركم من بعض كتّاب العصر، وقد جئتم به في هذا الكتاب الأخير أيضًا بقصد الاستدلال على محدثات المتصوّفة، وأنّها ليست من الدين في شيء، وأكبر عمدتكم في ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، تريدون بذلك أنّ ما لم يكن دينًا في ذلك الحين، ليس هو بدين من بعد)[٥].

وبعد هذه المقدمة بدأ الشيخ في عرض الأدلة التي ترد على من يعتبر الآية دليلًا على كون محدثات الصوفية بدعة، وأنها بدعة ضلالة، وهو يعتمد في ذلك على منهج إلزام الآخر بلوازم قوله، وهذه اللوازم تتدرج من إنكار جميع اجتهادات المجتهدين إلى إنكار أحاديث رسول الله ﷺ نفسه التي قالها بعد نزول الآية الكريمة، بل إلى إنكار ما ورد في القرآن الكريم من الأحكام بعد نزول الآية، أو ما هو قبل ذلك مما نجهل تاريخ نزوله.

أما بالنسبة للزوم إنكار جميع اجتهادات المجتهدين في جميع فروع الدين، فالأمر فيها واضح ذلك أن نصوص الكتاب والسنة لم تحط بتفاصيل الفروع، بل اقتصرت على أصول المسائل وطرق الاستنباط وكثير من الجزئيات، وتركت لأهل العلم – بعد ذلك - أن يستنبطوا من النصوص ما يحقق المقاصد الشرعية التي جاءت النصوص لتقريرها، يقول الشيخ ابن عليوة في ذلك: (وهذا شيء جميل، لو يقع تسلّطه على إخراج ما أحدثه المتصوّفة من وظائف الأذكار وغيرها، لكن بعيد أن يستقيم لنا ذلك، إلّا إذا أخرجت معه سائر اجتهادات المجتهدين وأقوال العلماء العاملين، ولا شكّ أنّه قضاء مبرم على سائر الأحكام الشرعيّة، المقرّرة من طريق الاجتهاد، والحكم عليها بأنّها ليست من الدين، بدعوى أنّها جاءت بعد كمال الدين وإتمام نعمته على المسلمين المفهومات من صحيح الآية، ولا شكّ أنّ مقالتك هذه تنتج لنا من الاعتقاد ما لا تقول به أية فرقة من فرق الإسلام المنحرفة، فضلًا عن أهل السنّة المتبوعة الذين أنت من أفرادهم)[٦].

---

(١) الشهاب، س٤، العدد (١٦٤)، ٦ ربيع الثاني ١٣٤٧هـ - ٢٠سبتمبر ١٩٢٨م، ص: ٦ - ١٠.
(٢) في الآثار (٧٩/٣).
(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، دار القلم – الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦، ص٣٨.
(٤) الاعتصام - للشاطبي، موافق للمطبوع (١/ ١١١).
(٥) ابن عليوة، أعذب المناهل في الأجوبة والمسائل، نقلًا عن: صفحات مطوية في التصوف الإسلامي، ص١٣٨.
(٦) ابن عليوة، أعذب المناهل في الأجوبة والمسائل، نقلًا عن: صفحات مطوية في التصوف الإسلامي، ص١٣٨.

E- mail : abdelhalem_ elazmy @ hot mail . com

محمول: ٠١٢٢-٧١٦-٨٠٢٨
٠١٠٦٦-٨٨٠-٧٨٣

تحويل القبلة في نصف شعبان.. بين التسليم للفرد ﷺ وحديث السفهاء!!

قبل غزوة بدر الكبرى، نجد أحداثًا مهمة كانت لازمة لتكميل شخصية المجاهدين قبل الجهاد العملى فى غزوة بدر، وهى: تحويل القبلة، وفرض الصيام.

وتحويل القبلة كان المَعلم الثانى من معالم تحديد الهوية والشخصية الإسلامية بعد الأذان؛ إلا أنه كان الأخطر بالنسبة لليهود والمشركين والمنافقين والمسلمين.

فلقد كان ﷺ وهو بمكة يصلى ناحية بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ثم بعد الهجرة تعذر أن يجمع بينهما؛ لأن المدينة بين مكة وبيت المقدس.

وكان اليهود يقولون: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا. وفى رواية بالسيرة الحلبية قالوا للمسلمين: لو لم نكن على هدًى ما صليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها[١].

وقال كفار قريش للمسلمين: لم تقولون نحن على ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون إلى قبلة اليهود؟[٢].

فكان ﷺ يكثر من النظر فى السماء ينتظر أمر الله تعالى بتحويل القبلة، ونظره للسماء؛ لأنها قبلة الدعاء.

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤).

الحرف (في) يفيد الاستعلاء لكونه بعيدًا عن ظرفيَّةِ التمَكُّنِ، نحو قولك: (أقامه فى القضاء)، والمعنى جعله فوق القضاء رئيسًا له، فالآية تجعل النبى فوق السماء مكانًا ومكانة، وكيف لا؟، وهو الذي تجاوز السماوات والعرش وسدرة المنتهى إلى أن دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. ولم يقل ربنا: (إلى السماء)؛ لأن (إلى) تشير للجهة، ومنتهى الغاية، والله مُنزه عن الجهة، ولا يليق أن تكون منتهى غايته ﷺ هى السماء.

يقول الإمام أبو العزائم فى أسرار القرآن[٣]: (يخبر الله تعالى نبيه ﷺ بعبارةٍ تدلُّ على المواجهة والخطاب؛ طمأنينة لقلبه ﷺ، ومسارعة فى الاستجابة له ﷺ، فيقول: ﴿قَدْ نَرَى﴾، والرؤية تكون بمعنى العلم، وبمعنى البصر...

ويبين سبحانه حكمة تقلب وجهه ﷺ فى السماء أنها لتعيين القبلة التى يحبها وهى الكعبة المكرمة؛ وذلك لأنه ﷺ يرى بنور قلبه أن قبلته الدائمة هى الكعبة، وأن الله تعالى ما أمره بأن يولى وجهه شطر بيت المقدس إلا لحكمة.. وجائز أن يكون ذلك تضرعًا إلى الله تعالى فى أن يجعل قبلته الكعبة، فلباه الله تعالى وأخبره أنه بأعينه وسمعه...).

❁ تحويل القبلة كان المَعلم الثاني من معالم تحديد الهوية والشخصية الإسلامية بعد الأذان؛ إلا أنه كان الأخطر بالنسبة لليهود والمشركين والمنافقين والمسلمين.

❁ الإيمان الحقيقي هو التصديق الفوري لخبر السماء، وذلك دون أدنى تردد أو شك، والإذعان والخضوع والتسليم لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، واستقبال هذه الأوامر بعيون القلوب لا بعيون الرؤوس.

❁ تفضل الحق سبحانه بأن هدى أحبابه من المسلمين إلى القبلة التي يرضاها الله ورسوله، فكبت أهل العناد الذين حسدوا المسلمين على ما آتاهم الله من فضله.

❁ الكعبة وجهة لا جهة، ومثال لا حقيقة، ورمز عن وحدة الواحد، وإشارة إلى التوحيد الخالص، والإخلاص فى العمل للأحد الصمد سبحانه، وبيان لملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتشبهًا بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويضيف الإمام أبو العزائم: (وفى قوله تعالى: ﴿تَرْضَاهَا﴾ برهان على محبة الله له ﷺ، وكمال عنايته به، واختصاصه بمزيد فضله، وكان ﷺ يكره ما يقوله اليهود، ويحب أن يوجه وجهه إلى بيت أبيه الخليل إبراهيم، وهممه ﷺ مؤيدةٌ بروح القدس، فلا يهتم إلا بمراد الله الذى أراده أزلًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣)، فإذا كان نطقه بالوحى، فيكف تكون إرادته وهممه؟.

والقبلة التى يرضاها رسول الله ﷺ يخبر الله عنها بأنها هى التى يرضاها الله جلت أسماؤه؛ لاتحاد رسول الله ﷺ بالله تعالى إرادةً وأمرًا؛ لأن الله تعالى صاغه من نور العزة بدليل ما رواه الإمام التُسْتُرى بسنده قال: (لقد بلغني أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود، انظر لا أفوتُك أنا، فيفوتك كل شيء، فإنى خلقت محمدًا ﷺ لأجلى، وخلقت آدم عليه السلام لأجله، وخلقت عبادي المؤمنين لعبادتى، وخلقت الأشياء لأجل ابن آدم، فإذا اشتغل بما خلقته من أجله حجبته عما خلقته من أجلى)[٤].

وكان تحويل القبلة على أرجح الأقوال - كما ذكر الطبرى وابن كثير وابن هشام وصاحب السيرة الحلبية والقسطلانى وغيرهم - فى ليلة النصف من شعبان من السنة الثانية[٥].

كيف تحوّل ﷺ ؟

ذكر القسطلانى فى المواهب، وصاحب السيرة الحلبية، والإمام أبو العزائم فى النجاة: (خرج رسول الله ﷺ زائرًا أم بشر بن البراء ابن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعامًا، وحانت صلاة الظهر فصلى ﷺ بأصحابه فى مسجد هناك، فلما صلى ركعتين أوحى الله تعالى إليه - وهو فى الركوع بالركعة الثانية - بآية التحويل ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤)[٦].

وبعد أن خاطب حبيبه ومصطفاه تفضل جل جلاله فخاطبنا خطاب القريب للقريب، فأنزلنا منزلة المقربين منه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وكان ﷺ مُتَوَجِّهًا إلى بيت المقدس

الأمين العام والمتحدث الرسمي للاتحاد العالمي للطرق الصوفية
الدكتور عبد الحليم العزمي

صوب الجدار الشمالى فاستدار ﷺ واستدار أصحابه معه؛ حتى وجَّه وجهه الشريف وهو فى الركوع إلى الجدار الجنوبى لمواجهة الكعبة المكرمة؛ حتى صار النساء فى موضع الرجال، والرجال فى موضع النساء، أى: فقد تحول من مقدم المسجد إلى مُؤَخِّره؛ لأنه لو دار كما هو لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف.. وسمى ذلك مسجد القبلتين، وهو كذلك إلى اليوم.

تحوّلوا بخبر الفرد

ذكر ابن كثير فى السيرة: فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك[٧].

وذكر صاحب السيرة الحلبية والإمام أبو العزائم: خرج عبَّاد بن بشر- وكان صلى مع رسول الله ﷺ - ومر بجماعة من الأنصار يصلون العصر فى مسجد لهم وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت الظهر مع رسول الله ﷺ مستقبلًا الكعبة، ثم جاء قُباء والصحابة يصلون الصبح فأخبرهم وهم فى الركعة الثانية فاستداروا وهم ركوع إلى الكعبة[٨].

وجاء فى الصحيحين البخارى ومسلم عن ابن عمر قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[٩].

وفى صحيح مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة[١٠]. قال الحافظ ابن حجر: وهو أحد أسمائها[١١].

قال صاحب السيرة الحلبية: ولم ينقل أنهم أمروا بقضاء العصر والمغرب والعشاء، ولا إعادة الركعة التى صلوها فى الصبح، وهو دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به وإن تقدم نزوله، وعلى أنه يجوز ترك الأمر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس إلى أمر مظنون وهو خبر الواحد[١٢].

يعطينا الإمام أبو العزائم فى كتابه النجاة الدرس المستفاد من ذلك بقوله:

(والمسلم حقًّا من إذا بلغه عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ ما يخالف ما هو عليه، سارع إلى ترك ما هو عليه إلى ما بلغه تصديقًا للمخبر، وتحقيقًا بأنه متبع لا مبتدع، خوفًا من أن يبلغه عن رسول الله أمر ويصر على ما هو عليه، فيكون مخالفًا لرسول الله ﷺ، وعملًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، بلا تأويل، وله أن يتحرى الحق بعد ذلك، وهذا عمل الصحابة، وعمل السلف الصالح بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين)[١٣].

هذا درسٌ مهمٌّ وخطيرٌ، نتعلم منه أن الإيمان الحقيقى هو التصديق الفورى لخبر السماء، وذلك دون أدنى تردد أو شك، والإذعان والخضوع والتسليم لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، واستقبال هذه الأوامر بعيون القلوب لا بعيون الرؤوس.

حديث السفهاء

قال صاحب السيرة الحلبية: واجتمع قوم من كبار اليهود، وجاءوا إليه ﷺ وقالوا له: يا محمد ما ولَّاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟، وهو نوع من التدليس؛ لأن الخليل إبراهيم لم يصلِّ إلى بيت المقدس، وفى رواية قالوا: ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك، وكانوا يقصدون بذلك فتنته ﷺ؛ ليعلم الناس أنه فى حيرة من أمره[١٤].

وقيل: اختبارًا لما يجدونه فى نعته ﷺ من أنه يرجع عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة، وأنه لا يرجع عن تلك القبلة.

ذكر القسطلانى فى المواهب: قالت اليهود: اشتاق إلى بلد أبيه، وهو يريد أن يرضى قومه، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبى الذى ننتظر أن يأتى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (البقرة: ١٤٤)، فيعنى أن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله سيوجهك إليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم(١٥).

ويوافق ذلك ما ذكره الإمام السُّبكي فى تائيته:

وَصَلَّيْتَ نَحْوَ الْقِبْلَتَيْنِ تَفَرُّدًا
وَكُلُّ نَبِيٍّ مَّا لَهُ غَيْرُ قِبْلَةِ

قال صاحب السيرة الحلبية: ومن ثَمَّ جاء فى التوراة فى وصفه ﷺ (صاحب القبلتين)(١٦).

ولما توجه ﷺ إلى الكعبة قال المشركون من أهل مكة: توجه محمد بقبلته إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه، ويوشك، أى: يقرب، أن يدخل فى دينكم.

ومن كلام اليهود والمشركين ارتد جماعة عن الإسلام وقالوا: مرة هاهنا ومرة هاهنا. وقال المنافقون: ما يدرى محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقًّا، فقد تركها، وإن كانت الثانية هى الحق، فقد كان على باطل.

وصف القرآن

يخبرنا ربنا عن اليهود والمنافقين والمشركين من معاصرى رسول الله ﷺ الذين أشاعوا أنه تردد فى قبلته، والذين سيرددون مثل أقوالهم إلى قيام الساعة بأنهم سفهاء، والسفه هو وضع الشىء فى غير موضعه؛ إفسادًا للمال، وكل من وقع منه السَّفَهُ يُحْجَرُ عليه ويُقَامُ له وصي، أما السفه فى الدين فالحجر على صاحبه أولى، ويعتبر رأيه وعقيدته ومبدؤهُ كرأى البهائم السَّائمة لا يُعتنى به.. فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ولم يكن إنكارهم هذا إلا عنادًا وبغضًا للحق وأهله، وفتحًا لأبواب الفتن على أهل الحق، فقهرهم الله تعالى وأذلهم بقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (البقرة: ١٤٣)، يعنى أن الجهات الست لله تعالى، ومتى كانت الجهات لله كان الحكم له سبحانه فى اختصاص أى جهة لتكون قبلة للصلاة؛ لأنه سبحانه هو المتصرف فيما أبدع وخلق، ولا يُسْئَلُ عما يفعل.

وقد تفضل الحق سبحانه بأن هدى أحبابه من المسلمين إلى القبلة التى يرضاها الله ورسوله، فكبت أهل العناد الذين حسدوا المسلمين على ما آتاهم الله من فضله، كما ورد فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن اليهود لا يحسدوننا على شىء كما يَحْسُدُونَنَا على يوم الجمعة، التى هدانا الله لها وضلُّوا عنها، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين)(١٧).

من مات قبل تحويل القبلة

لمَّا حُوِّلَت القبلة إلى الكعبة أتى رسول الله ﷺ مسجد قُبَاءَ فقدم جدار المسجد موضعه الآن، وقالت الصحابة له: ماذا يعمل إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون قِبل بيت المقدس؟ وماذا نعمل فى صلاتنا التى صلَّيْنَاها من قبل؟.

وكان عدد الذين ماتوا قبل تحويل القبلة عشرين، ثمانية عشر من أهل مكة، واثنين من الأنصار، وهما البَرَاءُ بن معرور، وأسعد بن زرارة، وقيل: ثالث هو كلثوم بن الهدم.

فطمأن الله قلوبهم وشرح صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣).

والمعنى أن الله رءوف رحيم كريم، وهو الذى أمركم أن تصلوا جهة بيت المقدس وحفظ أعمالكم، وهو الذى أمركم أن تولُّوا وجوهكم شطر المسجد الحرام، ولم ينقصكم من أعمالكم السابقة والمستقبلة شيئًا، وإنما المراد منكم السمع والطاعة لأمره.

حكمة تحويل القبلة

بيَّن الحق ﷻ الحكمة فى تحويل القبلة بآية تقتضى قصر الصفة على الموصوف وهى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة: ١٤٣).

قال الإمام أبو العزائم ﷺ: (أى ما حَوَّلناك عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس؛ إلا لنعلمك ونريك من يتبعك من أهل اليقين الذين صدقوك فيما جئتهم به من عندى، لا يزلزل قلوبهم نسخُ بعض الآيات ببعض، أو تحويلُ وجوههم عند الصلاة عن بيت المقدس إلى الكعبة، لقوة يقينهم بما جئتهم به، ونريك أهل الإيمان الضعيف الذين اتبعوك بألسنتهم لا بقلوبهم، وبعقولهم المكتسبة لا بقلوبهم وعقولهم التى تعقل عن الله، ممن ينقدح الشك فى قلوبهم لأقل حادث يحدث، وهم الذين قدرت في أزلي أنهم ليسوا مؤمنين بالحق، ولكنهم أهل شك وتردد، وبذلك الاختبار والامتحان يطمئن قلبك بمن اتبعك من المؤمنين، وتثق بهم أن يكونوا أنصارًا لك على القيام بمهام الرسالة)(١٨).

وهذه الامتحانات والاختبارات مستمرة للمؤمن المقبل على الله؛ حتى يصل إلى الله فيرفعه إلى المقام الأعلى، أو ينزعج فيرتد على عقبيه.

فكان فى تحويل القبلة قبل غزوة بدر عدة فوائد منها:

١- تطهير الجبهة الداخلية فى المدينة من المنافقين والضعفاء بارتدادهم عن الإسلام.

٢- كشف حقيقة نوايا اليهود والمشركين الذين وادعهم رسول الله حين دخل المدينة.

٣- أهمية الرّبَاطِ الوثيق بين المقدسات الإسلامية، أى: بين بيت المقدس والكعبة، فالإسراء، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وتحويل القبلة: من الأقصى للحرام.. وأنهما معالم بين عينى كل مسلم.

٤- تحديد الهوية والشخصية المستقلة للمسلم.

٥- وحدة الأمة، فإذا كانت الأمة لها قبلة واحدة فلا بد أن توحد كلمتها أمام أعدائها.

حكمة استقبال الأشباح لوجهة كونية

انفرد الإمام أبو العزائم ﷺ بكلام نفيس فى كتابه (النجاة فى سيرة رسول الله ﷺ) بكشف حكمة استقبال الأشباح، أى: الأجسام، لوجهة كونية فقال(١٩): (معلوم أن أكمل مقام يتحقق فيه المؤمن بمقام العبد حقًّا هو موقف الصلاة، لانكشاف الحضرتين لسر القائم بالصلاة فى الصلاة.. إذ كل عمل من الأعمال إذا انكشفت رموزه لعين العامل المخلص لها يرى أن صفات الربوبية مشهودة له - وإن حرص أن يتحقق بمقام العبدية - إلا فى الصلاة.

فالصائم مثلاً متشبه بعالين، وملاحظ معانى صمدية الصمد بمجاهدته نفسه فى ذات الله بتركه ما لا بد لها منه، فهو وإن كان عبدًا مطيعًا للأمر، لكنه ملاحظ لمعانى صفات الربوبية، وكذلك فى الصدقة والحج، وفى البر والصلة، وفى العاطفة والرحمة والشفقة على الخلق، لا تتميز الحضرتان تمييزًا يجعل العامل عبدًا حقًّا، مشاهدًا للحق مشاهدة يكون فيها محفوظًا من أن يلاحظ اتصافه بصفة من صفات الربوبية؛ إلا فى إقامة الصلاة.

- إذًا فالصلاة تمييز بين الحضرتين، وإشراق نور الأحدية على الحضرة العبدية، وحضرة العبد حق، وإن الحق حق.

- فيواجه الحق العبدِيُّ الحق الرَّبِّيَّ بالنسب الحقيقي؛ الذي هو ذل وخشوع واحتياج وفقر وفاقة، ويتنزل الحق الرَّبِّيُّ فيواجه الحق العبدى بجلال جميل رءوف رحيم، وقريب منعم متفضل، فيكون نورًا على نور.

قِبْلَةُ الْعَارِفِينَ حَالَ الصَّلَاةِ
وَجْهُ مَوْلَى مُنَزَّهٍ عَن جِهَاتِ
وَهُمُو قِبْلَةٌ لَّهُ إِذْ يُصَلِّي
بِحَنَّانٍ عَلَيْهِمُو لِلنَّجَاةِ
فَصَلَاةٌ لَّهُ وَمِنْهُ عَلَيْهِمُ
أَخْرَجَتْهُمْ فَضْلًا مِّنَ الظُّلُمَاتِ
وَقَفُوا خَاشِعِينَ ذُلًّا فَصَلُّوا
وَاجَهُوا الْوَجْهَ لَا مِنَ الْمِرْآةِ
قِبْلَةُ الْعَاشِقِينَ أَيْنَ يُوَلُّونَ
وُجُوهَهُمُو فَلِلْمِشْكَاةِ
مِن ظَلَامِ الأَوْهَامِ أَوْ قَيْدِ عَقْلٍ
أَخْرَجَتْهُمْ لِلنُّورِ مَجْلَى الذَّاتِ
نُورُ وَجْهٍ أَضَاءَ فِى كُلِّ شَىْءٍ
وَلَهُ الْكُلُّ مَظْهَرُ الآيَاتِ
قِبْلَةُ الْوَاصِلِينَ كَعْبَةُ رُوحٍ
فَرْدُ ذَاتِ الْعَلِيِّ فَيْضُ الْهِبَاتِ
قِبْلَةُ السَّالِكِينَ بَيْتٌ عَتِيقٌ
مَهْبِطُ النُّورِ مَنْزِلُ الرَّحَمَاتِ
وَالْمَعَانِى جَمِيعُهَا إِنْ أَضَاءَتْ
لِمُرَادٍ فَذَاكَ عَيْنُ الْحَيَاةِ(٢٠)

- ولما كانت تلك المواجهة لا بد أن تحصل لظاهر العبد وباطنه، حتى تصح الوصلة بين ظاهر العبد وباطن العبد، وباطن الحق وظاهر الحق.. فكان ظاهرُ العبد مقامَ التنزيه، وباطنهُ مقامَ التشبيه، وكان لا بد من وجهة معينة لظاهر العبد، ومن إطلاق لباطنه؛ حتى تحصل الطمأنينة لظاهره وباطنه.

- لذلك اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يعين وجهة للأشباح يتوجه إليها عند الوقوف بين يديه توجهًا تتحد به القلوب، وتشرق فيه أنوار التوحيد الخالص على كل مسلم توجه، لتكون الوجهة واحدة.. وتلوح أنوار التوحيد على ظاهر العبد وباطنه، فيكون مقيمَ الصلاة وهو فى الصلاة، ذائقَ حلاوة التوحيد ظاهرًا وباطنًا، متجملاً بجمال التفريد والتنزيه سرًّا وعلنًا، حاضرًا بقلبه وقالبه مع ربه ﷻ بالانقياد والطاعة للأمر بالتوجه إلى كعبة الأشباح، حضورًا روحانيًّا بالمواجهة التى حصلت له؛ لتجمله بجمال الرتبة العبدية فى حضرة الإطلاق، وهذا سر إقامة الصلاة... يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

بِبَكَّةَ قَلْبِي بَلْ وَفِي مِصْرَ جُثْمَانِي
وَفِي بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ رَوْحِي وَرَيْحَانِي(٢١)

وجهة لا جهة

والكعبة المكرمة لم تكن جهة من الجهات الأربع للمصلى، ولكنها رمز لوحدة ملاحظة للمصلى المشاهد، تتجلى له حقائق المعبود الأحد سبحانه فى توجهه ظاهرًا وباطنًا إليه.. فإن سكان البلاد الشرقية للكعبة يوجهون وجوههم إلى الغرب منها، وسكان الغرب يوجهون وجوههم إلى الشرق، وكذلك سكان الشمال والجنوب.. والحاضرون بمكة يصلون حلقًا حول الكعبة.

فالكعبة وجهة لا جهة، ومثال لا حقيقة، ورمز عن وحدة الواحد، وإشارة إلى التوحيد الخالص، والإخلاص فى العمل للأحد الصمد سبحانه، وبيان لملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتشبهًا بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ ولذلك جعل الله للمسلمين القبلتين ليكون لهم الحظ الأوفر بالتشبه برسل الله والتحقق بعلومهم وعملهم، قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الرباني، الذى به ننجذب بكليتنا إلى الرضوان الأكبر.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله أجمعين.

---

(١) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٣/٢.
(٢) ينظر: المرجع السابق.
(٣) ينظر: أسرار القرآن، للإمام أبى العزائم ١٠/٢، ط٢. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار الكتاب الصوفى - القاهرة.
(٤) ينظر: تفسير التسترى لأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى ٢٧/١، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥)- ط.١ – دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان – ١٤٢٣هـ.
(٥) ينظر: سيرة ابن هشام ٦٠٦/١، وتاريخ الطبرى ٤١٥/٢، والبداية والنهاية ٤٥/٥، والمواهب اللدنية للقسطلانى ٣٤٣/١، والسيرة الحلبية ٣٥٢/٢.
(٦) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٣/٢، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلانى ٣٤٥/١، والنجاة فى سيرة رسول الله للإمام أبى العزائم ص٣١٤.
(٧) ينظر: سيرة ابن كثير ٣٧٤/٢.
(٨) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٤/٢، والنجاة فى سيرة رسول الله للإمام أبى العزائم ص٣١٤.
(٩) ينظر: صحيح البخارى ٨٩/١ ح٤٠٣، وصحيح مسلم ٦٦/٢.
(١٠) ينظر: صحيح مسلم ٦٦/٢.
(١١) ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٥٠٦/١ ح ٤٠٣، ط. دار المعرفة – بيروت.
(١٢) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٤/٢.
(١٣) ينظر: النجاة فى سيرة رسول الله للإمام أبى العزائم، ص٣١٤ – ٣١٥.
(١٤) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٥/٢.
(١٥) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح النبوية ٣٤٦/١.
(١٦) ينظر: السيرة الحلبية ٣٥٥/٢.
(١٧) ينظر: مسند الإمام أحمد ٤٨١/٤١ ح٢٥٠٢٩، ط. مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ.
(١٨) ينظر: أسرار القرآن، للإمام أبى العزائم، ج٢ ص٧.
(١٩) ينظر: النجاة فى سيرة رسول الله، للإمام أبى العزائم، ص٣٠٦ – ٣٠٩، بتصرف.
(٢٠) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبي العزائم، ج١، قصيدة رقم: ١١١.
(٢١) ينظر: ديوان ضياء القلوب للإمام أبي العزائم، ج٩، قصيدة رقم: ٨٩٣٧.

اللغة العربية

في عصر التحول الرقمي

[٢/١]

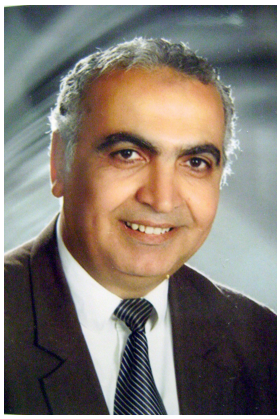

الأستاذ
صلاح البيلي

اللغة العربية مظلومة فمن ينصفها؟

الدستور المصري جعل العربية هي اللغة الرسمية في كل المعاملات والمدارس، وهكذا فعلت فرنسا والصين واليابان وألمانيا خوفًا من خطر الهيمنة الأمريكية (الأمركة) وخطر الذوبان في العولمة والانجليزية!

كان عدد طلبة قصر العيني عند قدوم الاحتلال الانجليزي لمصر ٨٢ طالبًا، وعندما تسلط اللورد كرومر صار عددهم ١١ طالبًا، واضطر محمد دري باشا لطبع الكتب الطبية على نفقته بحارة السقايين ومات معدمًا!

من فظائع الاستعمار الفرنسي للجزائر أن حرم استخدام اللغة العربية على شعب الجزائر وجعلها من اللغات الأجنبية!

العرب يبدعون أدبًا بكل فنونه ولكن بقي أن يبدعوا بلغة العلوم والتكنولوجيا، ويساهموا في صناعة الحضارة فتزدهر العربية.

في عصر الوسائط الرقمية أصبح من السهل زيادة المحتوى العربي على الانترنت والترجمة الفورية من وإلى العربية.

اللغة لا تحيا بالقانون بل بإبداع الناطقين بها وفي عصر التنوع الثقافي أصبح العالم كله يحترم تحدث كل جماعة بلغتها القومية.

من حق الأجيال الجديدة أن يهتموا باللغات الأجنبية؛ لأنها عماد التواصل الإيجابي مع العالم، ولكن ليس من حقهم أن يكون ذلك على حساب اللغة العربية بوصفها اللغة القومية الرسمية بنص الدستور، وما من أمة إلا وتدرس جميع العلوم بلغاتها من الصين لليابان حتى كيان الاحتلال الإسرائيلي أحيا اللغة العبرية بعد غياب لمئات السنين، عدا اللغة العربية هي الوحيدة التي يظلمها أهلها ويهينونها ويخلطونها باللغات الأخرى واللهجات؛ حتى صارت مسخًا خصوصًا على صفحات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، فمن ينصف العربية لغة القرآن وأم اللغات؟!..

اللغة في الدستور

لا شك أن التفاعل الحي هو أساس العلاقة بين اللغة العربية والدستور، فاللغة تعبر عن الفكر دون أن يعلو الفكر أو تعلو اللغة والصنعة بل يوجد انسجام وتوازن بينهما، والدستور مجموعة من المبادئ الحاكمة والمتكاملة والمترابطة في وحدة عضوية واحدة، وتفسيرها يتم في ضوء الغاية منها باعتبار الدستور وثيقة تقدمية، ولغة الدستور بخلاف لغة التشريع، فالدستور يتربع على قمة النظام القانوني فلا يلجأ للتفصيل، وتقوم المحكمة الدستورية بدورها في تفسير النصوص الدستورية في ضوء مقاصدها بحيث لا تتعارض ولا تتنافر، وقد عنى الدستور باللغة العربية فجعلها اللغة الرسمية، كما نص على أن الإسلام هو المصدر الأول للتشريع ما يبرز العلاقة بين لغة الأمة وعقيدتها بوصف العربية لغة القرآن، كما نص الدستور على انتماء الشعب المصري للأمة العربية ووجود الشعب يسبق وجود الدولة، وهذه قواعد فوق دستورية حاكمة عصية على التعديل أو التغيير.

وبالرجوع لأول نصوص حاكمة في مصر مكتوبة وموثقة فقد كانت هيروغليفية زمن قدماء المصريين، ثم تحولت حتى صارت لغة المستعمر، رومانية ويونانية ثم قبطية؛ حتى دخل العرب مصر وعربت الدواوين زمن المأمون العباسي فصارت العربية لغة الكتابة الرسمية والنطق والحوار، وظلت هكذا حتى غزا العثمانيون

مصر فحولوا لغتها الرسمية إلى التركية، وألغوا العربية، وكان سلاطين المماليك يتحدثون التركية والعربية، ولوائح المجلس العالي ومجلس شورى النواب (١٨٢٤-١٨٦٦م) مدونة بالتركية في زمن محمد علي وابنه إبراهيم ثم عباس وسعيد، ثم نقلت إلى العربية بمعرفة قسم المحفوظات التاريخية بالسراي الملكية عن الأصل المحفوظ ضمن وثائقها.

وجاءت اللائحة الأساسية التي وافق عليها مجلس النواب المصري وصدر بها الأمر العالي في ٧ فبراير سنة ١٨٨٢م ووردت المادة ١٧ منه فنصت على:

(اللغة الرسمية التي تستعمل في المجلس هي اللغة العربية، وتحرير المحاضر والملخصات يكون بتلك اللغة).

وبعد ذلك أتى القانون النظامي الصادر أول مايو سنة ١٨٨٣م خلوًا من مثيل النص السابق. وجاء دستور سنة ١٩٢٣م المعمول به في ٢٠ إبريل من نفس السنة ينص في المادة ١٤٩ منه على:

(الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية)، وكذلك نص دستور سنة ١٩٣٠م ثم دستور سنة ١٩٥٦م ودستور سنة ١٩٦٤م ودستور سنة ١٩٧١م وزاد على النص قوله: (ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع).

ولم يكن دستور مصر عجبًا في ذلك بل جاءت كل دساتير الدول تنص على نفس المعنى، فالدستور الفرنسي نص في مادته الأولى على أن (لغة الجمهورية هي الفرنسية) وجاء ذلك بعد (اتفاقية ماستريخت) الخاصة بالاتحاد الأوربي خشية ذوبان الهوية واللغة الفرنسية في المجتمع الأوربي الأوسع. وكان هذا المبدأ راسخًا منذ عصر الملكية في فرنسا وإنشاء الأكاديمية الفرنسية سنة ١٦٣٥م، وصدر قرار سنة ١٩٧٥م يجعل استخدام اللغة الفرنسية إجباريًّا في كل المجالات.

وكانت أولى أهداف الاستعمار الفرنسي في بلاد المغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب) والاستعمار الانجليزي لمصر والسودان أن حاول طمس اللغة العربية ومحاربة الكتاتيب المنتشرة بالقرى لتعليم الصغار القراءة والكتابة وما تيسر من القرآن الكريم، وكذلك الخلاوي بالسودان وإفريقيا، وحاول الاستعمار فرض لغته الفرنسية والانجليزية، ووصل الأمر بفرنسا في الجزائر إلى اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية!

وفي محاولة عملية للرد على الاحتلال الانجليزي في مصر أسس وطنيون أول مجمع للغة العربية في القاهرة سنة ١٨٩٢م، ثم كان التأسيس الرسمي الحقيقي في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢م، ثم كانت حماية اللغة العربية بنص الدستور، وعالميًّا نصت المادة ٢٧ من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة ١٩٦٦م على حق الأقليات في استخدام لغتها الأصلية، ونصت الاتفاقية الأوربية لحماية الأقليات الوطنية سنة ١٩٩٥م على حقوق الأقليات في استخدام لغتها الأصلية، والحق في اللغة جزء أصيل من الحق في التنوع الثقافي.

ما من أمة إلا وتدرس جميع العلوم بلغاتها، عدا اللغة العربية هي الوحيدة التي يظلمها أهلها ويهينونها ويخلطونها باللغات الأخرى واللهجات، حتى صارت مسخًا لصوصًا على صفحات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، فمن ينصف العربية لغة القرآن وأم اللغات؟!

وإعمالًا للقيمة الدستورية للغة العربية كلغة رسمية للدولة في مصر نص قانون السلطة القضائية رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٢م في مصر في المادة ١٩ منه على أن لغة المحاكم هي اللغة العربية، فالعربية الفصحى هي قوام الأحكام وأساس صياغة الفكر القانوني، وشهدت أروقة المحاكم فطاحل في القانون كانوا خطباء بلغاء وأدباء مثل: (شفيق منصور يكن، وإسماعيل صبري، والشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، وعلي فخري، وفتحي زغلول، وقاسم أمين، وعبد العزيز فهمي) حتى جيل (مصطفى النحاس، ومكرم عبيد، والهلباوي) حتى جيل (المستشار عوض المر) رئيس المحكمة الدستورية الأسبق، لدرجة أنهم اخترعوا دررًا من الأدب القانوني الرفيع.

وبعد انتهاء عصر الامتيازات الأجنبية وزوال الاحتلال نص القانون على أن يكون التحكيم في المواد المدنية والتجارية باللغة العربية مالم يتفق الطرفان أو هيئة التحكيم على لغة أخرى، ونص قانون حماية الملكية الفكرية على استعمال اللغة العربية. ونص قانون الطفل على التزام مديري دور السينما على أن يعلنوا بالعربية بكل وسائل الدعاية بالعربية ما يفيد حظر المشاهدة على الأطفال. ونص قانون العمل ١٢ لسنة ٢٠٠٣م على التزام صاحب العمل بتحرير عقد العمل بالعربية. ونص قانون حماية المستهلك على التزام المنتج أو المستورد بوضع البيانات على السلع باللغة العربية. ومن البدهي أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم في مؤسسات الدولة التعليمية ويسري ذلك على مدارسنا في التعليم الأساسي والثانوي، وما تقدمه المدارس الخاصة من تعليم يكون تحت إشراف الدولة، وللمدارس الأجنبية أن تدرس باللغات الأجنبية مع العناية باللغة العربية.

عبقرية العرب في تأليف المعاجم المتخصصة (٣/٢)

الكاتب الكبير
الأستاذ
محمد إسحاق
عبد الرسول

بقية: ٣ـ معاجم التراجم

ثانيًا: تراجم الأطباء:

يعد إسحق بن حنين (٢٩٨ هـ) أول مؤرخ في الإسلام، فقد أفرد كتابًا خاصًّا لتراجم الأطباء والحكماء، وهو كتاب "تاريخ الأطباء والفلاسفة"، وهو تاريخ الأطباء اليونان فحسب[١]. وتلاه بعد ذلك كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (توفي بعد ٣٧٢هـ)، وقد نهج فيه نهجًا يغاير النهج المعجمي من حيث الترتيب الأبجدي، فقد أورد تراجم الأطباء طبقًا لعدد من الطبقات بدأها: بالطبقة العالية الأولى، ثم الطبقة الثانية الحكمية الرومانية اليونانية، ثم الطبقة الثالثة من حكماء اليونان ... إلخ.

ومن أشهر المؤلفات التي تترجم لطائفة الأطباء دون غيرهم كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة" (٦٦٨هـ)، غير أن الكتاب لم يأخذ الشكل المعجمي من حيث الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم كما جرت به العادة في المعاجم، ولكن المؤلف كما يقول المحقق: "ابتدأ بترجمة كبار الأطباء زمن الإغريق والرومان، ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجم من أعمال، بل يأتي على شيء من آرائه في الطب، ويذكر أيضًا ما ألفه المترجم له من كتب أو ما نقله إلى اللسان العربي من كتب. ثم تكلم عن الأطباء العرب والعجم والهنود والمغرب وأطباء الشام كل قطر على حدة"[٢]. وإذا تأملنا في نهج هذه المؤلفات، سوف يتضح لنا أن هذا هو النهج الأمثل لهذا النوع من المعاجم الذي تقل فيه أهمية الترتيب الأبجدي المعهود في المعاجم، لنجد أنفسنا أمام أولى المؤلفات في تاريخ العلم ولا سيما تاريخ الطب منذ أقدم العصور حتى العصر الوسيط.

ثالثًا: تراجم العلماء:

من الملاحظ أن تراجم العلماء تنسحب ضمنيًّا على تراجم الأطباء؛ لأن العلماء العرب من أصحاب المعرفة الشاملة، فكثيرًا ما نجد العالم العربي رياضيًّا وفلكيًّا وطبيبًا وجغرافيًّا وله في كل علم تصانيف ومؤلفات. ومن أشهر المؤلفات في تراجم العلماء مؤلفان:

الأول: تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي (٥٦٥هـ)، وعن الكتاب يقول محققه محمد كرد علي: "ترجم البيهقي من

ترجم لهم بإيجاز على الأكثر، ورتب المؤلف تأليفه بحسب القدم لا بحسب حروف المعجم، ولا بحسب أقطار العلماء الذين ذكرهم، وختم سفره بمن عاصرهم وعاشرهم[٣].

أما المؤلف الثاني: فهو "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين القفطي (٦٤٦هـ)، الذي جاء أتم من سابقه من حيث كفاية الترجمة لمن يترجم له، وترتيب أصحاب التراجم حسب حروف المعجم. ويقول القفطي في مقدمة الكتاب: "وقد عزمت بتأييد من الله على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة، قديمها وحديثها إلى زماني، وما حفظ عنه من قول أو كتاب صنفه، أو حكمة علية ابتدعها ونسبت إليه، فإني رأيت ذلك من الأمور التي جهلت والتواريخ التي هجرت، وقد قضيته ليسهل تناوله"[٤].

رابعًا: تراجم المشاهير ورجال التاريخ:

هي من المؤلفات الضخمة التي قد تصل صفحاتها إلى بضعة ألوف، ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال كتاب "سير أعلام النبلاء" لشمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، وعنه يقول المحقق: "صار الكتاب مرتبًا كالآتي: السيرة النبوية، المغازي، الخلفاء الراشدون الوفيات على السنوات، سير أعلام النبلاء على حروف المعجم"[٥]. ويقاربه في الضخامة كتاب "الوافي بالوفيات" لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)، الذي يتكون من ثلاثين جزءًا. ويقول الصفدي في مقدمته: "فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمة الوسط، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل علم وأوتاده، فلا أغادر أحدًا من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء والقضاة والعمال والوزراء، والقراء والنحاة والأدباء من الكتاب والشعراء، والأطباء والحكماء... إلخ"[٦].

غير أنه لشدة تعلقه بالنبي، وتعظيمًا لاسم سيدنا محمد ﷺ، بدأ كتابه بترجمة كل من اسمه محمد حتى عصره[٧].

وقد يترجم مؤرخ لأفراد قرن بعينه، ومن أشهر هذه المعاجم (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لشمس الدين السخاوي (٩٠٢هـ)، ويُعيب مثل هذه المعاجم أنها تترجم في كثير من الأحيان للعوام من الناس دون أن يكون للمترجم أي أثر، وعلى سبيل المثال يقول السخاوي: "آدم بن عبد الرحمن ابن حاجي مات سنة بضع وعشرين"[٨].

> من الملاحظ أن تراجم العلماء تنسحب ضمنيًّا على تراجم الأطباء؛ لأن العلماء العرب من أصحاب المعرفة الشاملة، فكثيرًا ما نجد العالم العربي رياضيًّا وفلكيًّا وطبيبًا وجغرافيًّا وله في كل علم تصانيف ومؤلفات.

---

(١) أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ابن جلجل)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة ط ٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص ح.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، تحقيق: د. نزار رضا، ص ٦.

(٣) ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق: محمد كرد علي مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ١٩٨٨م، ص٨.

(٤) جمال الدين القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح: محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص ٢.

(٥) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق حسان عبد المنان بيت الأفكار الدولية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٨.

(٦) صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

(٧) المصدر السابق نفسه، ص٢٩.

(٨) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع دار الجيل، بيروت، د.ت، ص ٧.

رأي الإمـــام أبي العزائم فـــي مسائل العقـيـــدة (٣١)

مقدمة

تكاد كلمة المسلمين تتفق على أن المعارف التي يجب على المسلم استيعابها هي: أصول الدين، وأحكام الشريعة.

وإن كانت المعرفة - بشكل عام - مطلوبة، ومرادة، وبكل فروعها، فيما يتعلق بالكون والحياة، وبخاصة ما يرتبط بالجوانب الاجتماعية والإنسانية التي تحدد علاقة الإنسان ببني نوعه، وذوات جنسه من كافة المخلوقات، كالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، التي استقطبت جهودًا جبارة من المصلحين، وفي مقدمتهم الأنبياء والأئمة، والعلماء، والصالحين من الناس.

بقية: الفصل الأول: الإلهيات

بقية المطلب الثالث: صفات المعاني

بقية: ب - المعتزلة:

بقية: الرد على حجج القائلين بنفي الصفات:

بقية: (٣) صفة العلم

ثمرة الاعتقاد بهذه الصفة عند الإمام:

بعد أن يُعرّف الإمام أبو العزائم العلم ويقيم الأدلة عليه، لا يخلى المقام من بعض الإشارات العرفانية، مبرزًا الفائدة من الإيمان بصفة العلم فيقول: "إذا لاحظت عين العناية الإلهية عبدًا فوقعت به عين اليقين على معنى صفة العلم الإلهي؛ وتمثل تلك الصفة المنزهة بمعنى ما من معانيها التي تليق بكمالاتها؛ كان العبد المشاهد تلك المعاني في معية ربه حاضرًا لا يغيب، متجملًا بجمال أهل المراقبة، وكيف لا؟ والمؤمن الذي يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى يسارع إلى أن يعمل ما يرضى ربه عنه الذي يعلمه في كل حال من أحواله، ويتباعد عن معاصيه وعن مواطن سخطه ومقته؛ لأنه يعلم أنه يعمه ويراه، ويكره أن يراه ربه سبحانه حيث يكره أن يراه في مواطن مخالفة أمره ومعصيته كما يكره أن يقذف به في نار جهنم، وإن جهنم أخف على المؤمن المتمكن من معصية الله تعالى، وكيف لا؟ وهو عند المعصية إذا تحقق بأن الله يراه فيها ويعلم به فيها يشعر بأنه استهان بربه فخالف أمره، وهو يعلم قدر عظمة ربه وقدر موجبات غضبه وسخطه.

نتج من هذا أن الموقن بصفة العلم لله القادر، المتحقق بأن الله يعلم سره ونجواه، ويعلم ما توسوس به نفسه، ويعلم أنه معه

حيث كان وكيف كان، لا يتعدى حدود الله، ولا يعمل ما يخالف سنن رسول الله، واللص لا يسرق المتاع إلا إذا غاب صاحبه، والرجل لا يأتي زوجته أمام ابنها حياء منه، فكيف يعمل المؤمن المعصية مع علمه بأن الله معه ويعلم سره ونجواه ولا يخاف جلاله ولا يخشى عظمته وكبرياءه؟!"[١].

وإذا كانت الفرق الإسلامية قد اتفقت على أن الله تعالى عالم؛ إلا أنه وقع الخلاف بينهم في إحاطة علمه تعالى بالأشياء، فذهب المحققون منهم إلى أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء؛ واجبها، وممكنها، ومستحيلها، موجودًا كان أم معدومًا.

وذهب بعض المعتزلة إلى أن الله لا يعلم بالجزئيات إلا بعد وقوعها فهو يعلم الماهيات فقط، وذلك لأنه لو علم في الأزل الجزئيات للزم عدم تعلق القدرة بالجزئي أصلًا، حيث إن الجزئي لو علم الله وقوعه أو عدم وقوعه أزلًا لكان واجبًا أو مستحيلًا؛ لأن علم الله تعالى لا يتخلف، والقدرة لا تتعلق بالواجب، ولا بالمستحيل، فيلزم أن لا يقدر الله تعالى على جزء أصلًا.

والجواب: أن قدرة الله تعالى تتعلق

د. سامي عوض العسالة

مدير عام بوزارة الأوقاف

بالممكن لذاته، وإن وجب أو امتنع لغيره، والممنوع - كما ذكرنا من قبل - هو تعلقها بالواجب والممتنع لذاته. ويعلق الإمام أبو العزائم على ذلك قائلًا: "وهذا هو الجهل المركب؛ لأن الذي لا يعلم الجزئيات إلا بعد إيجادها هو المخلوق المقهور، إذ هو لا يعلم

*** اتفقت الفرق الإسلامية على أن الله تعالى عالم؛ إلا أنه وقع الخلاف بينهم في إحاطة علمه تعالى بالأشياء، فذهب المحققون منهم إلى أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء؛ واجبها، وممكنها، ومستحيلها، موجودًا كان أم معدومًا، وذهب بعض المعتزلة إلى أن الله لا يعلم بالجزئيات إلا بعد وقوعها، وينسب إلى الفلاسفة أن الله تعالى لا يعلم الأشياء على نحو جزئي،بل إنه يعلمها بوجه كلي منحصرًا في الخارج.**

أعمال نفسه الخصوصية قبل وقوعها؛ لجهله بمقدارها كَمًّا وكيفًا وتفصيلًا وإصلاحًا وفسادًا، ولكن القوى الخلاق القاهر العليم يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي القائم بذاته الذى أحاط بكل شيء قبل إيجاده وأحاط بجزئياته وكلياته وزمانه ومكانه، والمقتضيات المحيطة به وأبرزه. ومَنْ حَكَمَ على الله العلى الكبير بما يحكم به على العبد المقهور الذليل جهل وجهل أنه جاهل"[٢].

وينسب إلى الفلاسفة أن الله تعالى لا يعلم الأشياء على نحو جزئي، فهو لا يعلم الجزئيات المادية بالوجه الجزئي، بل إنه يعلمها بوجه كلي منحصرًا في الخارج، فهو تعالى إن كان يعلم الجزئيات فإنها يعلمها بطريقة كلية لا أثر فيها للتفصيلات الجزئية[٣].

يقول ابن سينا: واجب الوجود يجب أن يعقل ذاته بذاته... ويعقل ما بعده، من حيث هو علة لما بعده، ومنه وجوده، ويعقل سائر الأشياء من حيث وجوبها[٤].

---

(١) الإسلام دين الله ص ٤٩.

(٢) أسرار القرآن ج ١ ص٩٥.

(٣) الإشارات والتنبيهات: ابن سينا ج٣ / ص٢٧٨، ومشكلة الألوهية د. محمد غلاب ص٤٨. ط: عيس الحلبي.

(٤) الإشارات والتنبيهات: ابن سينا ج٣ ص٢٧٨.

۞ أرى ضرورة إعادة طباعة كتاب الطريقة العزمية تحت عنوان: (الإخوان: متى، كيف، ولماذا؟) والذي فضح هذه الجماعة!!.

۞ الإخوان: أول جماعة تبنت القتل والاغتيالات والهدم والحرق.

محمد الشندويلى

حوادث وأحداث إخوانية

س: نرجو توضيح حوادث وأحداثًا إخوانية؟.

ج: قام حسن البنا بفصل صديقه أحمد السكرى (المؤسس الحقيقي لجماعة الإخوان) بعد توجيهه اتهامات عديدة للبنا أهمها: تستره على التهمة الموجهة إلى صهره عبد الحكيم عابدين وهي التحرش الجنسي بعضوات الجماعة، حيث كتب السكري سلسلة مقالات ضد البنا عنوانها: "الشيخ الكذاب"، وأبقى البنا على صهره عابدين هذا على الرغم من إجراء تحقيق داخلي - شكلي - مما دفع الشيخ مصطفى نعينع الذى فصلته الجماعة إلى تأكيد الواقعة بقوله: "هي البراهين الدافعة التي تثبت ما ارتكبه عبد الحكيم عابدين من آثام (التحرش الجنسي بالنساء المسلمات) اعترف بها وأدان نفسه، واعترفت - يقصد حسن البنا - أنت بها وأدنته، وواجب مكتب الإرشاد فصله، وبعد ذلك أبقيته - لسر لا نعلمه - وضحيت برجال الدعوة الأخيار".

- غليان سرى وانتشر في مصر ضد الملك فؤاد عام ١٩٣٣م، ويصف حسن البنا الملك فؤاد الظالم بأنه (ذخر للإسلام)، وذات الشيء مع الملك فاروق عام ١٩٣٧م حيث قال فيه البنا: (ضم القرآن إلى قلبه ومزج به روحه).

انضمت جماعة الإخوان إلى القصر الملكي ضد جموع الشعب المصري لما طالب زعيم الوفد المرحوم / مصطفى النحاس الحد من سلطات الملك غير الدستورية، وتظاهرت تأييدًا للنحاس (الشعب مع النحاس) يتصدى لها الإخوان بتظاهرات (الله مع الملك)!!.

- خرجت منشورات وحناجر الإخوان مبايعة للملك فاروق خليفة للمسلمين وأقسموا يمين الولاء في ميدان عابدين فبراير ١٩٤٢م بهذا النص الموثق: "نمنحك ولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ".

- انضمت جماعة الإخوان للقصر الملكي ضد ثوار مصر، فمن ذلك أنهم بمدينة بورسعيد ألقوا القنابل على الوفديين مما أدى إلى قتلى وجرحى بالعشرات، ورد أهالي بورسعيد بإشعال النيران في دار الإخوان والنادي الرياضي ببورسعيد.

- عندما قام رئيس الوزراء إسماعيل صدقى عام ١٩٤٦م بحركات اعتقالات للثوار وأغلق عشرات الصحف، بررت مطبوعات الإخوان أن الظروف تحتم ذلك، وخرج أحد قواد الإخوان آنذاك / مصطفى مؤمن وخطب تأييدًا لإسماعيل صدقي قائلًا: "واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولًا نبيًّا".

- وصف سيد قطب الملك فاروق بأنه (راعي العروبة الأول).

- من كتابات سيد قطب عام ١٩٥١م في الوصف الجسدي الجنسي للمرأة: "الفتاة تعرف جيدًا موضع فتنتها الجسدية، في العين الهاتفة والشفة الظامئة والصدر الناهد والردف المليء والفخذ اللفاف والساق الملساء، وهي تبدى هذا كله ولا تخفيه، والفتى يعرف جيدًا أن الصدر العريض والعضل المفتول هما الشفاعة التي ترد عنه كل فتاة"[1].

ثروات مالية إخوانية

س: نسمع أن جماعة الاخوان غنية جدًّا، فهل هناك دليل على ذلك؟.

ج: جماعة الإخوان تمتلك إمبراطورية شركات "أوف شور" في ١٠ دول.

دوجلاس: لجوء الإخوان لشركات "أوف شور" لبناء شبكة مالية في الخفاء.

سيطرة إخوانية على مجالس إدارة بنك "دى . إن . إى" و١١ مؤسسة مالية كبرى.

ممتلكات الجماعة تتجاوز ١٢ مليار جنيه مصري، الجماعة تمتلك أكثر من ٣٠٠ منشأة إخوانية عبارة عن ثروة عقارية من المدارس التابعة للجماعة وأصولها المادية تقدر بالملايين.

مجموعة شركات الإخوان التي تضم ما يزيد عن ١٢ شركة، أموالها تزيد على ٣ مليار جنيه، وهي التي تم التحفظ عليها في قضية سلسبيل وغسيل الأموال في ٢٠٠٧م، بالإضافة إلى ممتلكات الجماعة في عدد من المدن الجديدة، وهي بأسماء عدد من قيادتها.

---

(١) إن لم يكن هذا (الأدب الإباحي) فأي شيء يكون؟!.

من أنشطة المركز العام للطريقة العزمية

خـــلال شهـــر رجب ١٤٤٧ هـ

قامت مشيخة الطريقة العزمية تحت رعاية سماحة السيد محمد علاء الدين ماضي أبى العزائم شيخ الطريقة العزمية عدة محاضرات خلال شهر رجب ١٤٤٧هـ، تأكيدًا لدورها الكبير في تبصير الأمة بالواجب المطلوب منها:

ليلة أهل البيت

في يوم الجمعة ٦ رجب ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٠٢٥/١٢/٢٦م أقيمت ليلة أهل البيت الرابعة والمائتان بقاعة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبى العزائم رضي الله عنه، حيث حضرها عدد من أبناء الطريقة العزمية من مختلف المحافظات.

وقد افتتحها سماحة السيد علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية ببيان أن المُنصِّرين والعلمانيين يشككون في الدين الإسلامي في البلاد الإسلامية، من خلال أربع نقاط:

١- الجهاد (يسمونه إرهابًا). ٢- المرأة.

٣- العبيد. ٤- الأخلاق.

وكشف سماحته أن المسيحي جاري ويلز تكلم في هذه الموضوعات فقال: إن الجهاد في الإسلام لرد عدوان وليس

للاعتداء، ولأول مرة في التاريخ يكون للمرأة ذمة مالية مستقلة، وأن تعدد الزوجات موجود في اليهودية قبل الإسلام واشترط الإسلام العدل، وأن العبودية موجودة قبل الإسلام، وجاء الإسلام فعالجها؛ حتى قضى عليها.

وأشار سماحته أن إسرائيل أُنشئت عام ١٩١٧م بعد وعد بلفور، وأعلنت الدولة ١٩٤٨م، وطوال هذه المدة (٣١ سنة) لم تتجهز الأمة، وتُعد العُدة لعدم قيام هذه الدولة؛ لأن الأمة ابتليت بحكام خونة ساعدوا على قيام إسرائيل وحمايتها، وقد تحققت فيهم مقولة جولدا مائير: "سيصحو العرب يومًا ليجدوا أبناءنا تحكمهم"، وقد دفعوا مؤخرًا ٥ تريليونات من الدولارات لترامب لحماية إسرائيل وليس لحماية عروشهم؛ لأنهم يحكمون شعوبًا ميتة لن تثور عليهم.

وختم حديثه بقوله: (نحن من نصنع مستقبلنا ومستقبل أولادنا، بشرط أن يحب بعضنا بعضًا، ونعمل عملًا جماعيًّا، نحن بصدد عمل مشروع تكافل اجتماعي لفقراء آل العزائم في حساب بنكي سينشر في مجلة الإسلام وطن).

وواصل الدكتور عبد الحليم العزمي حديثه حول سيرة أهل البيت عليهم السلام، بالحديث عن خلفاء الإمام الرفاعي رضي الله عنه، وإسلام ابن هولاكو على يد الرفاعية، وفصَّل الحديث عن رفاعي مصر ومسجده، وختم الحديث عن علاقة الطريقة العزمية بالطريقة الرفاعية.

وختمت الليلة بفقرة من الإنشاد الديني لقصائد الإمام أبي العزائم قامت بها الفرقة العزمية بقيادة الشيخ محمد حسانين.

وسوف تقام بالقاهرة ليلة أهل البيت:

١- الخامسة والمائتان يوم الجمعة ٤ شعبان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٦/١/٢٣م.

٢- السادسة والمائتان يوم الجمعة ٣ رمضان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٠٢٦/٢/٢٠م.

آيات الساعة العشر في القرآن الكريم والسنة

الحلقة الثامنة

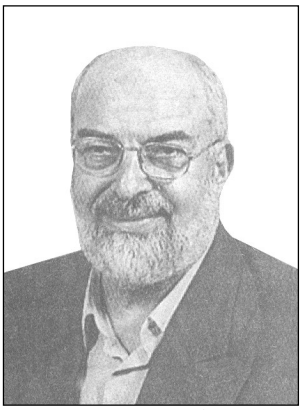

المرحوم الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

مقدمة

بيَّنَّا اللقاء الماضي أن عدم تمييز العلماء بين الآية وبين العلامة من جهة، وبين الآيات العشر الكبرى وبين العلامات الكبرى من جهة أخرى، هو الذي أدى إلى اللبس عندهم، وبالتالي إلى الاختلاف حول ترتيب حدوثها.. وفي هذا المقال نستكمل الحديث، فنقول:

بقية: آيات الساعة العشر

بقية: الترتيب الصحيح والراجح عندي للآيات العشر حسب وقوعها في الزمان:

قال ابن كثير في النهاية: (وقد حكى البيهقي عن الحاكم أنه قال: أول الآيات ظهورًا خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم، ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، قال: لأنها إذا طلعت من مغربها آمن من عليها، فلو كان نزول عيسى بعدها لم يكن كافرًا)[1].

أى أنه سيكون بعد عيسى بن مريم مؤمنون مسلمون وكذلك بعد يأجوج ومأجوج وهذا يفيد إيمان بعض أهل الكتاب، بل إيمان أكثر أهل الكتاب بالمسيح وإسلامهم على يديه: لأن طلوع الشمس من مغربها والآيتين الأخريين اللتين ينغلق باب التوبة بهما به موت المسيح عليه السلام وهما الدابة والدخان كلها تكون بعد يأجوج ومأجوج.

يؤكد هذا ما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج][2]. وعزاه ابن كثير إلى البخاري أيضًا.

وفي هذا دلالة يقينية على أن الآيات الثلاث: الدجال والمسيح الحق ويأجوج ومأجوج هي قبل طلوع الشمس من مغربها، وحيث أن الأحاديث الكثيرة تدل على أن الدجال يظهر أولًا ثم ينزل المسيح عليه السلام ثم يخرج يأجوج ومأجوج، فبناء عليه نصل إلى الترتيب التالي لهذه الآيات الثلاث:

٤- الدجال.

٥- نزول المسيح عليه السلام.

٦- خروج يأجوج ومأجوج.

٧- طلوع الشمس من مغربها.

٨- الدابة.

٩- الدخان.

١٠- نار تخرج من قعر عدن.

يبقى بعد ذلك ويتعين علينا معرفة الآيات من الأولى إلي الثالثة، التي هي بالضرورة تمام العشر، هذه الآيات الثلاث هي الخسوف الثلاثة، وحيث أنها جاءت في أصح الروايات بترتيب واحد لم يختلف من رواية لأخرى وهو خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وهي تمام الآيات العشر كما وردت في الحديث الشريف الذي جمعها، ومن ثم يمكن أن نصل إلى الترتيب النهائي حسب الوقوع للآيات العشر كالتالي:

١- خسف بالمشرق.

٢- خسف بالمغرب.

٣- خسف بجزيرة العرب.

٤- خروج الدجال.

٥- نزول المسيح عليه السلام.

٦- خروج يأجوج ومأجوج.

٧- طلوع الشمس من مغربها.

٨- الدابة.

٩- الدخان.

١٠- النار التي تخرج من قعر عدن.

وكون الخسوف الثلاثة هي الآيات الثلاث الأولى موافقة لما وردت في حديث مسلم السابق ذكره كما رواه عنه القرطبي[٣] إذ جاءت الخسوف الثلاثة أول الآيات العشر.

اختلاف العلماء والروايات حول تحديد الآية الأولى:

ثبت لنا اختلاف العلماء حول الآية الأولى وانفرد ابن كثير بوضع النار التي تخرج من قعر عدن على رأس الآيات العشر.

وكما ذكرت من قبل أن عدم التمييز بين العلامة والآية أحدث لبسًا عند كثير من العلماء، فقد وقع هذا اللبس عند ابن كثير، إذ اعتمد حديث البخاري الذي ينص على أن أول علامات الساعة نار تخرج من المشرق فقد روي البخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب][٤].

فحدث اللبس نتيجة عدم التمييز بين العلامة والآية فظن ابن كثير رحمه الله تعالى أن حديث البخاري يتحدث عن النار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[٥].

وحيث أن هذا الحديث نص على أن هذه النار هي أول العلامات، لذا جعلها ابن كثير رحمه الله تعالى أول الآيات ولكن هذه النار غير تلك، إذ هذه مجرد شرط من الأشراط، بينما نار عدن آية من الآيات، ومن ثم جاء في هذا الحديث أنها أول الأشراط، وجاء في حديث الآيات العشر أن النار آخر الآيات، كما أن نار الشرط الأول تخرج من المشرق وتحشر الناس إلى المغرب، والنار التي هي آخر الآيات تخرج من قعر عدن وتسوق الناس إلى محشرهم.

والمشرق والمغرب في الحديث الشريف يكونان بالنسبة للمدينة المنورة، حيث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث، أما عدن فهي في الجنوب ومن ثم تكون هذه بالقطع غير تلك.

فحديث البخاري إذن يعين أول العلامات التي تؤدي إلى وقوع سلسلة من الأحداث التي تؤدي الى أول الآيات، فنار المشرق إذن هي أول العلامات الكبرى التي تنذر بوقوع أول الآيات.

أما حديث مسلم وأبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله قوله: (إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى ... إلخ)[٦].

فهو ينص صراحة على أن طلوع الشمس من المغرب أول الآيات.

وكذلك أورد ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم عن أبي أمامة صدي بن عجلان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها)[٧].

وورد أيضًا أن الدجال أول الآيات قال البرزنجي: (وحكى البيهقي عن شيخه الحاكم قال:

أول الآيات ظهورًا - أى بعد المهدى - خروج الدجال، ثم طلوع الشمس من مغربها، وسيأتي في كلام الحاكم أن خروج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها وأنه الأوجه فنذكرها بإذن الله على هذا الترتيب)[٨].

وأورد صاحب كنز العمال حديثًا مطولًا عزاه لابن جرير عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه جاء في أوله: (أول الآيات: الدجال ونزول عيسى ... إلخ)[٩].

الترتيب النهائي حسب الوقوع للآيات العشر كالتالي:

١- خسف بالمشرق.

٢- خسف بالمغرب.

٣- خسف بجزيرة العرب.

٤- خروج الدجال.

٥- نزول المسيح عليه السلام.

٦- خروج يأجوج ومأجوج.

٧- طلوع الشمس من مغربها.

٨- الدابة. ٩- الدخان.

١٠- النار التي تخرج من قعر عدن.

---

(١) ابن كثير النهاية ج١ ص ٢٢٢.

(٢) ابن كثير النهاية ج١ ص ٢٠٢.

(٣) انظر: التذكرة ج ٢ ص ٦٥٤ حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم (٦٠/٤) وعزاه صاحب الكنز إلى المسند والنسائي عن أنس رقم ٣٨٨٨٢.

(٥) صحيح مسلم عن النهاية لابن كثير ج١ ص٢١٨.

(٦) ابن كثير النهاية ج١ ص٢١٩.

(٧) المصدر السابق.

(٨) الإشاعة ص١٢٢.

(٩) كنز العمال ج١٤ ص٢٥٩ حديث رقم ٣٨٦٤٥.

عندما ظهرت أموال النفط تم طبع ونشر مؤلفات ابن تيمية بملايين النسخ؛ لتملأ جنبات العالم الإسلامي!!.

أباطيل الإسلام السياسي

الأسس الفكرية للإرهاب

(٨٢)

- إن كتب ومؤلفات ابن تيمية كانت مرفوضة من جميع علماء الأمة الكبار منذ حوكم وسجن ومات في سجنه؛ حتى قامت الحركة الوهابية بنجد بقيادة محمد بن عبد الوهاب بإحياء كتبه وأفكاره الشاذة التي حذر منها علماء الأمة الكبار.

تقديس ابن تيمية (٣)

قال محدثى:

إن كتب ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه منشورة ومشهورة بين جنبات العالم الإسلام وجامعاته العلمية، فهل كل هذه الجامعات لا تعرف خطورة فكر ابن تيمية؟!

وهؤلاء علماء العصر الكبار أمثال: "محمد عبده، محمد رشيد رضا، عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمى وغيرهم" يبجلونه ويعتبرونه إمامًا مجتهدًا، بل إن المفكر الإسلامى الكبير الدكتور محمد عمارة ألف كتابًا بعنوان "رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية" وصف فيه ابن تيمية بأنه: "أبرز الأعلام المجددين للإسلام، وإمامًا عظيمًا عبقريًّا"(١).

قلت:

إن كتب ومؤلفات ابن تيمية كانت مرفوضة من جميع علماء الأمة الكبار منذ حوكم وسجن ومات في سجنه، حتى قامت الحركة الوهابية بنجد بقيادة محمد بن عبد الوهاب بإحياء كتبه وأفكاره الشاذة التي حذر منها علماء الأمة الكبار، وقامت الوهابية بنشر أفكاره بالسيف لا بالحجة والبرهان، وعندما ظهرت أموال النفط تم طبع ونشر مؤلفات ابن تيمية بملايين النسخ؛ لتملأ جنبات العالم الإسلامى، وإذا كان بعض العلماء الذين ذكرتهم قد امتدحوا بعض أفكار ابن تيمية، فإن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال.. وهم لم يدافعوا عن أخطاء ابن تيمية، بل إن أتباع ابن تيمية يبدعون ويضللون هؤلاء العلماء الذين ذكرتهم.

وقد رد على ابن تيمية أعلام معاصرون خبروا خطورة أفكاره منهم:

(محمود خطاب السبكى، محمد بخيت المطيعى، محمد زاهد الكوثرى، محمد العربى التبانى، منصور عويس، عبد الله الغمارى، يوسف الدجوى، محمد سعيد رمضان البوطى، محمود السيد صبيح، سلامة العزامى، عبد الله الهررى الحبشى، طه حبيشى، إبراهيم خليفة، على جمعة، رائد السمهورى، نور الدين أبو لحية).

قال محدثى:

ولكن بعض الفقهاء القدامى الذين ذكرت آنفًا أنهم ينتقدون ابن تيمية، قد أشادوا بابن تيمية، وهذا ثابت بكتب الطبقات والسير، فكيف تفسر هذا التناقض؟!

قلت:

بالفعل هناك علماء كبار امتدحوا ابن تيمية، ولكن يجب التفريق بين البدايات والنهايات.

ففي البداية أحسن علماء دمشق الظن بالشاب الصغير ابن تيمية القادم مع أسرته الصغيرة طريدًا من حران لدمشق هربًا من التتار، وعندما مات والده كان ابن تيمية ما يزال فى بداية الشباب؛ فقام علماء دمشق بتعيينه بالعمل مكان والده مدرسًا بدار الحديث السكرية وهو ما زال في بداية شبابه، وقاموا بتشجيعه إكرامًا لوالده، ولكن هذا جعل ابن تيمية يعجب بنفسه، ويتصدر للفتوى ومناطحة الأكابر ويفتى بطامات.

عندئذ قام هؤلاء العلماء الذين امتدحوا ابن تيمية في بداياته، بتنبيهه وتوجيهه أكثر من مرة، ولكن بلا جدوى، عندئذ قاموا بالرد عليه والتحذير منه عندما تبينوا طوامه

وبلاياه، حتى إن الشيخ إبراهيم الرقى عندما علم بخطأ ابن تيمية فى حق عمر بن الخطاب ﷺ، ذهب إليه وبصق فى وجهه[٢].

وهذا الشيخ شمس الدين الذهبي الذي أشاد بابن تيمية في البداية، بعدما تبين له طوامه؛ قام بكتابة نصيحة مهمة لابن تيمية، سميت " الرسالة الذهبية "، وتم نشرها في رسالة " بيان زغل العلم والطلب "، جاء فيها:

(يا رجل بالله عليك كُفَّ عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام... يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات، وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن... يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليًّا شهوانيًّا... فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل، أو عامي كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل.

أما حان لك أن تتوب وتنيب؟

فما أظنك تقبل على قولي، ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول: وألبتة سكت.

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد؛ فكيف حالك عند أعدائك؟.

وأعداؤك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر.

قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سرًّا (فرحم الله امرءًا أهدى

د. محمد حسينى الحلفاوى

إلي عيوبي)[٣].

فلا يجوز إذن الاحتجاج بما كان من الشيخ الذهبي في البداية عندما كان يحسن الظن بابن تيمية، ونترك موقفه النهائي عندما تبين له بلاياه.

قال محدثى:

هذا الرسالة المنسوبة للشيخ الذهبي مكذوبة ولا يصح نسبتها للشيخ الذهبي، كما أثبت ذلك العلماء أمثال: محمد إسماعيل المقدم في كتابه " تبرئة الذهبي من النصيحة المنسوبة إليه "، ومحمد إبراهيم الشيباني في كتابه " التوضيح الجلي"[٤]، وفتحي عيساوي في كتابه " التعليقات المنهجية "[٥].

قلت:

هذه الرسالة ثابتة للشيخ الذهبي، وهذا ما أثبته المحققون أمثال:

الحافظ السخاوى قائلًا: " وقد رأيت له - يقصد الذهبى – عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة"[٦].

الدكتور بشار عواد معروف قائلًا: "وهى رسالة بعث بها الذهبي إلى شيخه ورفيقه أبى العباس ابن تيمية الحراني، ينصحه فيها ويعاتبه في بعض تصرفاته... وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزورة ولا عبرة بذلك"[٧].

وقد أقر الدكتور عواد بنسبة الرسالة للذهبي في مقدمته لموسوعة سير أعلام النبلاء قائلًا: "وأرسل إليه نصيحته الذهبية التي يلومه وينتقد بعض آرائه وآراء أصحابه بها".

وكذلك الدكتور صلاح الدين المنجد فيقول: " شك بعضهم في نسبة هذه النصيحة للذهبي، ولا شك عندنا أنها له، فقد نقلت مخطوطاتها من خط الذهبي، ولم ينكرها أحد من العلماء الذين نقلوها كتقى الدين بن قاضى شهبة وغيره، ثم إن هذا أسلوب الذهبى عندما يهاجم ويبدو أنه كتبها في آخر عمره"[٨].

والرسالة الذهبية محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم / ١٨٨٢٣ ب.

ودار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم / ١٣٤٧

والذين أنكروا الرسالة الذهبية ليس لهم مستند معتبر يعتد به بل هى شبهات واهية، علاوة على أنهم أقزام في علم تحقيق النصوص بالنسبة لمن أثبتوها!!.

---

(١) " رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية " الدكتور محمد عمارة ص ٧، ٨، ٢١.

(٢) الدكتور على الشعيبى السورى، برنامج " ألم " قناة الميادين مع الإعلامى يحيى أبوزكريا بتاريخ ٩-٤-٢٠١٥م.

(٣) " السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل " للسبكى تحقيق محمد زاهد الكوثرى ص ١٥١، المكتبة الأزهرية للتراث

(٤) نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت في ١٩٩٣م.

(٥) منشورة على موقع " جامع الكتب الإسلامية في ٢٠١٩م.

(٦) في كتابه " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ " تحقيق سالم الظفيرى، دار الصميعى ط١ عام ٢٠١٧م ص ٢٤٦.

(٧) فى كتابه " الذهبى ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام "، ط ٢ ص ٩٤.

(٨) فى كتابه "شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين".

شروح الحكم من جوامع الكلم
للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم

الأستاذ
سميح محمود قنديل

الحكمة التاسعة والسبعون بعد المائة

من لم يَصحَب أهلَ العِلم والمعْرفة، يكُن سيرُه وقوفًا وعمَلُه معْصِية.

من فضل الله على هذه الأمة أن جعل فيها أئمة يدعون إلى الخير، وجعل فيها علماء ربانيين، يسلكون بالمؤمنين على طريق مستقيم، ومدح علماءها بالخشية، وبين المصطفى ﷺ أن علماء الأمة كأنبياء بنى إسرائيل، وأمر الله الناس إذا غم عليهم شيء أن يسألوا أهل الذكر، لتنجلي لهم الحقيقة ويتبين لهم الحق، ومن يرد الله به خيرًا يجعله يصحب أهل العلم والمعرفة؛ حتى لا يكون سيره وقوفًا وعمله معصية، وعليه أن يتربى على أيديهم ليصل إلى ذروة الكمال فى العبودية.

وقد اهتم الإمام أبو العزائم ﷺ بتربية المريدين تربية كاملة في كافة ميادينها، وبيَّن في الحِكم أن التربية: علم وعمل وشهود، وأهل التربية الروحانية السماوية: جعلوا الرياضة للهيكل الآدمي سر ترقيه، والمحبة باب وصوله، والتخَوْشن: معراج نعيمه، وأن التربية الحقيقية لا تعتمد على الشدة أو المداراة، فالمحتاج إلى الشدة فى تقويمه، أو إلى المداراة في تهذيبه لا يصلح لصحبتنا؛ لأن العمر قصير، والمطلوب عظيم جدًّا، فنفس لا تقوَّم إلا بالشدة بهيمية، ونفس لا تقوَّم إلَّا بالمداراة طِفلية، وإنما سلك طريقنا هذا المتطهرون من رجس الشيطان، ومن نجس البهائم، ويقول: "إن الهمة العالية: تأبى على صاحبها إلا معالى الأمور مهما تحمل في سبيل ذلك، والله تعالى يحب معالى الأمور ويكره سفاسِفَها، وإذا قابلت المقابل، ظفرت منه ما دام عندك القابل، وإذا قابلت المُواجَه، نلت منه ما دام عندك التسليم، وإن شاهدت المُشاهِد، مُنحت منه ما دام عندك الاعتقاد".

صحبة أهل العلم والمعرفة

وصحبة أهل العلم والمعرفة هي باب الوصول، والترقي إلى أعلى مقامات القرب؛ لأنها تكشف للسالك أسرار النفس، وأمراض القلوب الحاجبة عن الغايات، وهذه الصحبة لها آداب وتحتاج إلى تسليم وضوابط، منها

جوامع الحكم

حكم عالية، ودرر غالية، أفيضت من الكتاب المسطور، والبحر المسجور، ونطق بها لسان الرق المنشور، أخذًا من البيت المعمور. سعد من فهم هذه الحكم علمًا، أو تمتع بها ذوقًا، أو سار على هديها سلوكًا؛ لأن عباراتها من بحر عرفان ونور بيان مجدد هذا الزمان.

نقدم إحدى هذه الحكم العظيمة يعقبها تعليق نسترشد به في نيل المجد الإسلامى.

التواضع والتذلل لمن تتعلم منه، كما فعل سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح حين قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف: ٦٦)، لهذا يقول الإمام فى الحكم: "ملازمة الأعتاب سلم الوصول إلى الجناب"، ويقول: "لأن يُقال الشر فيك وليس فيك، خير من أن يقال الخير فيك وليس فيك"، كما يقول: "خِدمة النعال: تبلغ أقصى مراتب الرجال"، ويؤكد أن من صحب الرجل كان جسمه في الشرع، وروحه فى الجمع، وعقله في الآيات؛ لأن من وقف دون الكمال هلك، ومن قال: لا أقبل إلا بالآية، قل له: لست من أهل العناية، قال تعالى لخير رسله ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى: ٤٨)، ومن أراد أن يُدخل المبعود فى الحضرة الإلهية، حجب معه.

إن إجلال أهل العلم إجلال لما يحملونه من شرع الله عز وجل، وذلك لأنهم هم الوارثون للرسل، والمبلغون شرائعهم من بعدهم؛ ولهذا قال ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)، وإذا كان الكلام عن نور، حصل لمن سمعه السرور.

سؤال وجواب

يقول البعض متسائلًا: إن مجالسة العلماء لتلقي العلم الشرعي هامة لتعلم الأخلاق، والسؤال: أليست الأخلاق مذكورة في الكتاب والسنة؟، وكيف أحتاج لعالم لتعلم الصدق أو الأمانة أو الكرم؟، فهذه رؤوس الأخلاق، ومن السهل تعلمها، فكيف نتعلمها منهم مع الاحترام لهم؟، وجاء الرد من هيئة الفتوى، وكان الجواب كما يلى مع بعض الاختصار:

الحمد لله، لا شك في صحة ما ذكرت في سؤالك؛ أن الكتاب والسنة قد فصَّلا ما يحتاج إليه المسلم من أدب وخلق، فمن عمل بالقرآن والسنة فقد جمع الأدب والخلق الحسن؛ ولذلك لما وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلق النبي ﷺ قالت: بأن خلقه كان القرآن، وعن سَعْد بْن هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أنه سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال: (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ) رواه مسلم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ).

لكن كون الأخلاق والآداب مصدرها الكتاب والسنة، لا ينافي هذا أن للعالِم دورًا كبيرًا في تأديب طلابه، فالشيخ ليس أساسًا للأدب والخُلق، لكنه وسيلة فعّالة لاكتساب ذلك؛ ولهذا أوصى أهل العلم الطالب أن يختار في تعلمه الشيخ العامل بعلمه، الذي يظهر عليه خلق الكتاب والسنة، عن إبراهيم النخعي قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سَمته، وإلى صلاته وإلى حاله، ثم يأخذون عنه، وقد روي هذا المعنى عن جماعة.

قال ابن جماعة رحمه الله تعالى: "ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانته"، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين، أو عدم خلق جميل، فعن بعض السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم".

إن المعضلة الكبرى: ليست هي مجرد معرفة الفضائل والرذائل، كما يظن السائل الكريم؛ فعامة الناس يعلمون: أن الصدق حسن، والكذب قبيح، وكم من الناس من يكذب، وكم من الناس من يخون، وكم.. وكم..، المعضلة - حقًّا - والفارق بين "الصدق" والدعاوى، إنما تكمن في "العمل" بهذا العلم، والصبر عليه، ومجاهدة النفس على هواها وما تشتهي، وهذه وظيفة العالم الرباني؛ أن يربي الناس على ذلك ويؤدبهم به.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)، قال البغوي رحمه الله، في تفسير: "ربانيين": "وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ: كُونُوا فُقَهَاءَ علماء، وقال قتادة: حكماء علماء، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْعَالِمُ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فُقَهَاءَ مُعَلِّمِينَ .

وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِه، وقال عطاء: حكماء علماء نُصَحَاءَ لِلَّهِ فِي خَلْقِه، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ رَجُلًا عَالِمًا يَقُولُ: الرَّبَّانِيُّ الْعَالِمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، والأمر والنهي، العارف بِأَنْبَاءِ الْأُمَّةِ، مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَقِيلَ: الرَّبَّانِيُّونَ فَوْقَ الْأَحْبَارِ، والأحبار فوق الْعُلَمَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ جَمَعُوا مَعَ الْعِلْمِ الْبَصَارَةَ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: هُمْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ سُمُّوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُرَبُّونَ الْعِلْمَ، وَيَقُومُونَ بِهِ وَيُرَبُّونَ الْمُتَعَلِّمِينَ بِصِغَارِ الْعُلُومِ قَبْلَ كِبَارِهَا، وَكُلُّ مَنْ قَامَ بِإِصْلَاحِ الشيء وَإِتْمَامِهِ فَقَدْ رَبَّهُ يَرُبُّهُ.

وحاصل الأمر: المسألة ليست قاصرة على "كبار الأخلاق" وتعلمها، فهناك من تفاصيل الوقائع ودقائق الأمور، في أبواب الخُلق، والورع والتربية والسلوك، يحتاج من الناصح لنفسه البصير بأمره أن يتخذ شيخًا، أو صديقًا صالحًا يستشيره، ويتعلم منه ما يحتاج إليه، بل في كثير من الأحكام المتعلقة بكبار المسائل، من الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والغيبة والنميمة، ما يحتاج إلى بصر العالم وفقهه وإرشاده، والله أعلم.

ومن لم يصحب أهل العلم والمعرفة ولم يكن من أهل التسليم، يكون سيره وقوفًا، وهذا ما حصل مع نبي الله موسى عليه السلام والعبد الصالح، حتى كان الفراق بينهما، ويكون عمله معصية؛ لأنه لم يتبين له على وجه الدقة واليقين، حقيقة الصواب والخطأ، والحق والباطل فيما يفعل؛ لأن العلم هو بداية السير والسلوك، وبعده ذوق ثم كشف وشهود وهكذا، وقد يمنح المرء علمًا ولا يعمل به، أو لا يعرف معنى الذوق فى المعاملة والأخلاق، ولا يمنح الكشف والشهود، فيقع فى المحظور ويرد قبل الوصول، لفقده المرشد الدال على الله، والعالم الرباني الذى يوصله إلى الله ولا يكتفى بالدلالة عليه سبحانه.

❁ يبين الله لنا كفر اليهود بما في كتبهم بإقامة الحجة عليهم، أنهم هم وأسلافهم فطروا على العناد، ومحاربة رسل الله.

❁ يبين الإمام أبو العزائم أن العبارة لا تكشف الحقيقة مطلقًا؛ لأن العبارة لو كشفت الحقيقة لما كفر مَن سمعوا كلام الله من رسله.

❁ العلم والعمل والشهود والحال لا يطمئن بها قلب عارف بالله، بل يجب أن يكون المؤمن بين الخوف من السابقة واللاحقة، وبين الرجاء من فضل الله ورحمته، فلا ييأس العبد من رحمة الله، ولا يأمن جانب الله.

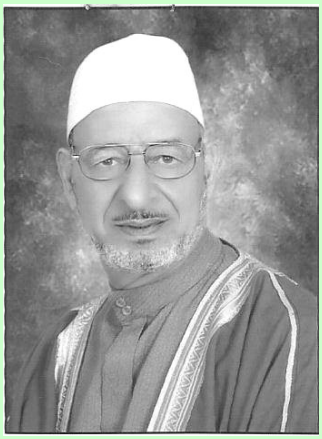

فضيلة الشيخ قنديل عبد الهادى

معاني وإشارات قرآنية

عبرة المعتبر (٦)

اليهود كذبوا وكفروا

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١] يبين الله لنا كفر اليهود بما في كتبهم بإقامة الحجة عليهم، أنهم هم وأسلافهم فُطروا على العناد، ومحاربة رسل الله.

يخبرنا الله تعالى أن رسول الله ﷺ أو أصحابه رضي الله عنهم إذا قالوا لليهود: آمِنُوا، أي: صَدِّقُوا بما أنزل الله، والمراد به القرآن المجيد الذي أنزله سبحانه مصدقًا لما معهم؛ لأنه يدعو إلى توحيد الله، وإلى الإيمان برسله الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الخلق، فصار إرسال الرسل سنة الله التي قد مضت، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

فيدعوهم العناد إلى تكذيب التوراة، وإنكار ما فيها من دلائل نبوة رسول الله ﷺ، ويغيرون ما ورد في التوراة من ذلك بدليل خبره عنهم بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾، والذي يعنيه معاصرو رسول الله ﷺ من اليهود هو التوراة.

وكذَبوا... بل وكفروا؛ لأن التوراة وضحت صفات رسول الله ﷺ بفصيح العبارة، ودعواهم أنهم آمنوا بها فرية، فقولهم هذا جعلهم كفارًا بموسى عليه السلام، وبالتوراة، وبمحمد ﷺ، وبالقرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: ويكفرون بما سواه من الكتب، ولك أن تقول: بما بعده: أو: بغيره، فأخزاهم الله تعالى وكذبهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ونفى عنهم الإيمان بقوله: ما أنتم مؤمنون؛ التي كنى عنها بقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، إذا فسرنا، ﴿إِن﴾ في هذا الموضع نافية.

والخطاب لليهود من بني إسرائيل من بعد موت موسى عليه السلام إلى معاصري رسول الله ﷺ بطريق التغليب.

اليهود بحسب نواياهم يقتلون الأنبياء

وفي هذا السياق من تفسيره يبيّن الإمام أبو العزائم أن النص القرآني أتى بالمضارع في قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ والمحل للماضي رعاية للتغليب؛ لأن سلفهم قَتَل؛ والذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ لو استطاعوا أن يقتلوا رسول الله لفعلوا، فهم بحسب نواياهم يقتلون الأنبياء.

وجائز لغة أن يحل المضارع محل الماضي إذا دلت القرينة على أنه للماضي،

والشواهد في اللغة على مثل هذا كثيرة.

يقول الشيخ العقاد في سياق تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: كَذَبتم في دعوى الإيمان بالتوراة، فإنها تنهى عن قتل أي نفس - ولو من عوام الناس - بغير الحق، فمن الذي أباح لكم قتل الأخيار والأطهار الذين خصصهم الله بالنبوة؟، وقد فعلتم ذلك قبل مجيء القرآن، فأنتم كافرون بالتوراة وبالقرآن.

المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء

ويبين الإمام أبو العزائم في تفسيره لهذه الآية أنه هنا يظهر لنا أن العبارة لا تكشف الحقيقة مطلقًا؛ لأن العبارة لو كشفت الحقيقة لما كفر مَن سمعوا كلام الله من رسله.

وإنما كانت العبارة للبيان لمن سبقت لهم الحسنى من الله تعالى، وللحجة على من قدَّر الله تعالى لعنهم وطردهم من رحمته.

ونعلم أيضًا أن العلم والعمل والشهود والحال لا يطمئن بها قلب عارف بالله، بل يجب أن يكون المؤمن بين الخوف من السابقة واللاحقة، وبين الرجاء من فضل الله ورحمته، فلا ييأس العبد من رحمة الله، ولا يأمن جانب الله.

والعبدُ عبدٌ وإن رفعه الله إلى العرش، والربُّ ربٌّ وإن تنزل بإحسانه وعطفه على العبد، حفظنا الله تعالى من الغرور بالعلم والعمل والحال والكشف، بل ومن الغرور بالتصريف بكلمة: كن، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

والبلاء قد يكون بإسباغ النعم كلها ويكون العبد مستدرَجًا.

وقد يكون البلاء بتوالي الخطوب والمصائب، ويكون العبد فيها محبوبًا لله مرفوع الدرجة عنده.

وقد ابتلَى إبليسَ بنِعَم لم تُعط لغيره وهو مستدرَج، حتى لعنه وأقامه داعيًا إلى اللعنة والنار.

وابتلَى آدمَ بأن نفخ فيه من رُوحه، وأسجد له ملائكتَه، وأسكنه جنتَه، ونهاه عن الأكل من الشجرة فخالف، فابتلاه بالطرد من الجنة، وبالكدر والعناء في طلب قوته من الأرض، وسلط عليه قابيل وكثيرًا من أبنائه، فصبر وتاب، فقبل منه سبحانه وأكرمه.

فكيف يأمن سالك مكر الله تعالى أو يقنط من رحمته سبحانه؟!.

إشارة تربوية إلى أسرار الحقيقة وأنوار الطريقة

ومن إشارة تربوية لابن عجيبة عقب تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] الآية، يقول: وإذا قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله من أسرار الحقيقة وأنوار الطريقة، قالوا: نؤمن بما أنزل علينا من ظواهر الشريعة، ويكفرون بما وراءه من أسرار الحقيقة ككشف أسرار الذات وأنوار الصفات، وهو - أي: علم الحقيقة - الحق؛ لأنه خالص لب الشريعة وباطنها، ولله در صاحب المباحث الأصلية حيث قال:

هل ظاهِرُ الشرعِ وعلمُ الباطِنْ
إلا كجِسمٍ فيه رُوحٌ سَاكِنْ؟

وقال أيضًا:

ما مَثَلُ المعقولِ والمنقولِ
إلا كَدُرٍّ زاخرٍ مَجْهُولِ
حتى إذا أَخْرَجَهُ الغَوَّاصُ
لم يكُ لِلدُرِّ إذن خَلاصُ
وإنما خَلاصُهُ في الكَشْفِ
عن الغِطَاءِ حيثُ لا يسْتَخْفِي
فَالصَّدَفُ الظاهرُ ثم الدر
مَعْقولُه والجهلُ ذاك البحْرُ

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: "هل ثَمَّ شيءٌ غيرُ ما فهمناه من الكتاب والسنة؟"؛ كان يقول ذلك إذا قيل له: إن الشيخ الشاذلي فاض اليوم بعلوم وأسرار، فلما التقى بالشيخ وأخذ بيده، قال: "إي والله... ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية".

ويقال لمن ادعى التمسك بالشريعة وأنكر ما وراءها: فلِمَ تشتغل بجمع الدنيا واحتكارها وتخاف من الفقر، وتهتم بأمر الرزق وتجزع من المصائب، والشريعة تنادي عليك بذم ذلك كله إن كنت مؤمنًا بها؟!!، وبالله التوفيق.

عِبْرَةٌ لِمُعْتَبِر:

يقول الإمام أبو العزائم في تفسيره: وما تقدم من الآيات في يهود بني إسرائيل عِبرةٌ لمعتبر، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] الآية.

طه حسين حين كشف الغطاء عن (الفتنة الإخوانية) المبكرة عام ١٩٥٤م!!

د. رفعت سيد أحمد

في عام ١٩٥٤م كانت مصر تغلي، وثورتها الوطنية بقيادة جمال عبد الناصر تتلمس طريقها وسط الألغام الإنجليزية والملكية والأحزاب التابعة والإقطاع المقيت، وفي هذه الأجواء طلت الفتنة الأولى للإخوان في مارس ١٩٥٤م متمثلة في المحاولة الفاشلة لاغتيال عبدالناصر في المنشية بالإسكندرية وسالت الدماء ونجا جمال عبدالناصر. وكعادتهم دائمًا لا تطل رؤوس الإخوان أو يتنشرون ويقدمون مشروعهم الفتنوي إلا في مناخ الفتن والصراعات.

في تلك الفترة كتبت عشرات المقالات والكتب عن فتنة الإخوان الجديدة .. وبالمناسبة هم في فتن متتالية منذ أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان عام ١٩٢٨م وبمنحة مالية بريطانية .. في تلك الفترة قدم مجموعة من كبار المثقفين كتابًا مهمًّا اسمه (هؤلاء هم الإخوان) ومن أبرز هؤلاء المثقفين: (طه حسين – محمد التابعي – علي أمين – كامل الشناوي - جلال الدين الحمامصي – ناصر الدين النشاشبي) وتضمن هذا الكتاب الوثائقي مقالًا لعميد الأدب العربي طه حسين عنونه بـ (رخص الحياة) استعرض ما سادَ مصر آنذاك من عنف تجسَّدَ في محاولة اغتيال جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤م في ما عُرفَ بحادثة المنشية، التي نفذها محمود عبد اللطيف أحد أعضاء تنظيم الإخوان. وأشار طه حسين إلى أن الضباط الأحرار أثناء تنفيذهم لثورة ٢٣ يوليو لم يجنحوا للعنف والقتل رغم امتلاكهم للسلاح والعتاد قائلًا: (ألم نشهد منذ عامين ثورة يقم بها الجيش وفي يده من وسائل البأس والبطش ما يغري بإزهاق النفوس وسفك الدماء، ولكنه يملك نفسه ويملك يده فلا يُزهق نفسًا ولا يُسفك دمًا ولا يأتي من الشدة إلا ما يمكن تداركه؛ كل هذا لأن مصر لا تحب العنف ولا تألفه، ولأن نفوس أهلها نقية نقاء جوها)؟!

ووصف طه حسين في مقاله الإخوان بأنهم (من زمن الخوارج، وقبضة من نيران الحروب التي يشعلها المحتلون في العالم، يخالفون الطبيعة الوديعة للمصريين، ويعملون على نشر القتل بينهم).

ويقول: (حياة المصريين إنما رخصت على الإخوان رغم أن الإسلام لم يحرم شيئًا كما حرم القتل، ولم يأمر بشيء كما أمر بالتعاون على البر والتقوى، ولم ينه عن شيء كما نهى عن قتل النفس بغير نفس إثمًا وعدوانًا، ولم يرغب في شيء كما رغب في العدل والبر والإحسان).

ويضيف طه حسين في مقاله المهم: (واليوم نكتشف فريقًا منا كانوا يهيئون الموت والهول والنكر لإخوانهم في الوطن ولإخوانهم في الدين ولإخوانهم في الحياة، التي يقدسها الدين كما لا يقدس شيئًا آخر غيرها من أمور الناس، والخير كل الخير هو أن نطب "أي نستعين بالطب" لهذا الوباء كما نطلب لغيره من الأوبئة التي تجتاح الشعوب بين حين وحين، وقد تعلم الناس كيف يطبون للأوبئة التي تجتاح الأجسام وتدفعها إلى الموت دفعًا، فمتى نعي إنهم من زمن الخوارج، وقبضة من نيران الحروب التي يشعلها المحتلون في العالم، يخالفون الطبيعة الوديعة للمصريين، ويعملون على نشر القتل بينهم).

ويتساءل طه حسين بتعجب عن كميات الأسلحة التي ضبطتها قوات الشرطة المصرية في مخازن الأسلحة الإخوانية بعد محاولة الاغتيال: "ما هذه الأسلحة وما هذه الذخيرة التي تدخر في بيوت الأحياء وفي قبور الموتى؟ وما هذه الخطط التي تدبر، وما هذا الكيد الذي يكاد؟ ما كل هذا الشر، ولم كل هذا النكر، ولم رخصت حياة المصريين على المصريين؟".

وأرجع طه حسين مصدر فكر ودوافع تنظيم الإخوان إلى الخوارج: "جاء بعضها من أعماق التاريخ. من أولئك الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (إنهم يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم)، والذين كان أيسر شيء عليهم أن يستبيحوا دماء المسلمين مهما تكن منازلهم في الإسلام".

كما رأى سببًا آخر وهو أن هذا الإرهاب هو قبضة نار حلت على مصر من النار المتأججة في العالم حينذاك ضد الشعوب الساعية للاستقلال: "جاء بعضها الآخر من هذا الشر المحيط الذي ملأ الأرض ظلمًا وفسادًا من هذا القتل المتصل في الحروب يثيرها بعض الأقوياء على بعض، وفي البطش يصبه الأقوياء على الضعفاء في البلاد المستعمرة التي يريد أهلها الحرية، ويأبى المتسلطون عليها إلا الخضوع والإذعان".

وتحت عنوان "فتنة"، واصل طه حسين تشخيصه للظروف التي جاهر فيها الإخوان بشرورهم، قائلًا: إن هذه الضربة جاءت إلى مصر وهي "تجرب الاستقلال للمرة الأولى بعد أن خضعت لسلطان الأجنبي الخارجي دهرًا طويلًا (...) والعالم يرقبها ليرى كيف تنهض بأعبائها الجديدة"، في إشارة إلى تحفز أعداء مصر لينقضوا عليها مجددًا إذا ما فشلت.

وتنبأ طه حسين بأنه لو كان تم للإخوان مرادهم باغتيال الرئيس عبد الناصر لوقعت "الحرب الداخلية بين المواطنين"، وأن يضيع هذا الاستقلال الذي ذاقت مصر في سبيله مرارة الجهاد الشاق، وأن ترجع مصر أدراجها ليدبر أمرها الأجانب، وذلك بزعم أن أبناء مصر لم يحسنوا استغلال فرصة الحرية.

خلاصة الأمر بالنسبة لطه حسين كما هي لرموز الأمة المستنيرة عبر

(جماعة الإخوان) وخلاياهم النائمة في مصر اليوم (٢٠٢٦م) هم مجرد (جماعة وظيفية) (بندقية للإيجار وبمن يستخدمها من الخارج) وليسوا (جماعة إسلامية) وأنهم يتوسلون بالإسلام لتحقيق أهدافهم وعلى رأسها الوصول للحكم.

المائة عام الماضية منذ تأسست الجماعة عام ١٩٢٨م: أن (جماعة الإخوان) وخلاياهم النائمة في مصر اليوم (٢٠٢٦م) هم مجرد (جماعة وظيفية) (بندقية للإيجار وبمن يستخدمها من الخارج) وليسوا (جماعة إسلامية) وأنهم يتوسلون بالإسلام لتحقيق أهدافهم وعلى رأسها الوصول للحكم، والغرب وأجهزته منذ نشأتهم حتى اليوم يستخدمهم لخلق الفتن والفوضى وضرب الدولة الوطنية وجيشها في القلب، لكي يسهل عليهم السيطرة والاستمرار.. إنهم إذن مشروع للفوضي والفتن الدامية وليس مشروعًا للنهوض والتقدم، وعلينا أن نكون دائمًا يقظين لهكذا مشاريع يدخلون من أبوابه حين غفلة ...حفظ الله مصر.

تهاني

*** يهنئ شيخ الطريقة العزمية**

السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم كلاً من:

* الأخ النقيب بحري مروان عبد الناصر هيّب لحصوله على درجة الماجستير في إدارة الأعمال تخصص إدارة الموارد البشرية.. بإيتاي البارود.

سائلاً الله تعالى دوام السعادة والهناء، والتوفيق والسداد، والبركة في الأولاد، والوسعة في الأخلاق والأرزاق.

دعوة عامة

- إن تمت الموافقة الأمنية -

يتقدم شيخ الطريقة العزمية بدعوة جميع أبناء الطريقة العزمية ومحبي آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ لحضور الحفل الكبير بمناسبة مولد سبط الرسول أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام، وذلك يوم الجمعة ٤ شعبان ١٤٤٧هـ الموافق ٢٣ يناير ٢٠٢٦م.. بقاعة الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم رضي الله عنه بمقر الطريقة العزمية بالقاهرة عقب صلاة المغرب

عزاء خاص من شيخ الطريقة العزمية

أحتسب عند الله تعالى الأخ الفاضل والكاتب الكبير وصديق العمر الوفي الأمين، الأستاذ مصطفى يعقوب عبدالنبي، الذي كتب في مجلة (الإسلام وطن) لسنوات عدة تحت اسم (محمد إسحق عبدالرسول)، وكان شخصية متعددة المواهب، فهو جيولوجي وأديب ومؤرخ وشاعر، وقد وقف سدًّا منيعًا أمام المستشرقين يدافع عن الإسلام، وكتب عن الإعجاز العلمي، جمعني الله به وبصديقي العزيز الأستاذ أحمد الألفي في مستقر رحمته كما اجتمعنا في الدنيا أحبابًا طوال العمر.

كما تتقدم أسرة تحرير مجلة (الإسلام وطن) بخالص العزاء لأسرة الفقيد، الذي ترك بصمة واضحة في تاريخ المجلة بكتاباته المتميزة التي عبرت عن عمق فكره وأصالة تحليلاته، سائلين المولى عز وجل أن يجمعه مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

صدق الله العظيم

*** ويحتسب شيخ الطريقة العزمية عند الله تعالى كلاً من:**

* فقيد الأمة الإسلامية فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الأوقاف الأسبق وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومستشار تحرير مجلة (الإسلام وطن) سابقًا، العالم العامل العاشق لأهل البيت والصوفية.

* الأستاذ علي أبو السعود بكري زوج ابنة الحاج عصام بكري نائب آل العزائم وابن عم الحاج أحمد بكري والأستاذ عباس بكري والأستاذ طاهر بكري، ويحتسب بلال صبري الجزايرلي حفيد الحاج علي النيل.. ببرج البرلس.

* الحاج عبدالصمد عبد الغفار النجار والد الأخ السيد عبد الصمد النجار وعم اللواء رأفت النجار والأستاذ محمد النجار.. بعزبة النجار – دسوق.

* الحاجة زينب عبد الرازق معوض عمة الأخ مدحت معوض والأخ حمادة معوض بعزبة زهران، والحاجة زوبة أحمد علي معوض بنت عمهما بقرية الاتحاد.. بكفر الشيخ.

* الأستاذ أحمد عبد القوي جبالي ابن شقيقة المرحوم الشيخ فرحات الشرنوبي وابن عمة المستشار محمد فرحات الشرنوبي.. بقرية أورين – شبراخيت.

* حرم الأخ الفاضل والمربي الكبير أمين حجازي والدة حرم الأستاذ طارق حجازي بالضرائب العقارية.. بعزبة بدر محافظة البحيرة.

* الحاج إبراهيم الفيومي عم الأخ العزيز محمد محمد عبد المطلب الفيومي.. بِنَشَرْت مركز قلين.

* الحاجة سعاد صالح عبد المقصود والدة زوجة الأخ الفاضل الشيخ محمد زيان.. بالخادمية – كفر الشيخ.

* المرحومة رسمية عبدالحميد عابدين شقيقة الأخ الفاضل الأستاذ محمد عبد الحميد عابدين.. بالحامول.

* الأستاذ قطب المشالي شقيق الأخ الفاضل إبراهيم المشالي.. بأبو رية - الرياض.

سائلاً الله تعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته، وأن يسكنهم فسيح جناته، ولأهلهم خالص العزاء.